

طه حسين

جنت الشوك

مطبعة الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

١٧١٤

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



AND. B. LIBRARY

طه حسين

892.78

H23924 j A

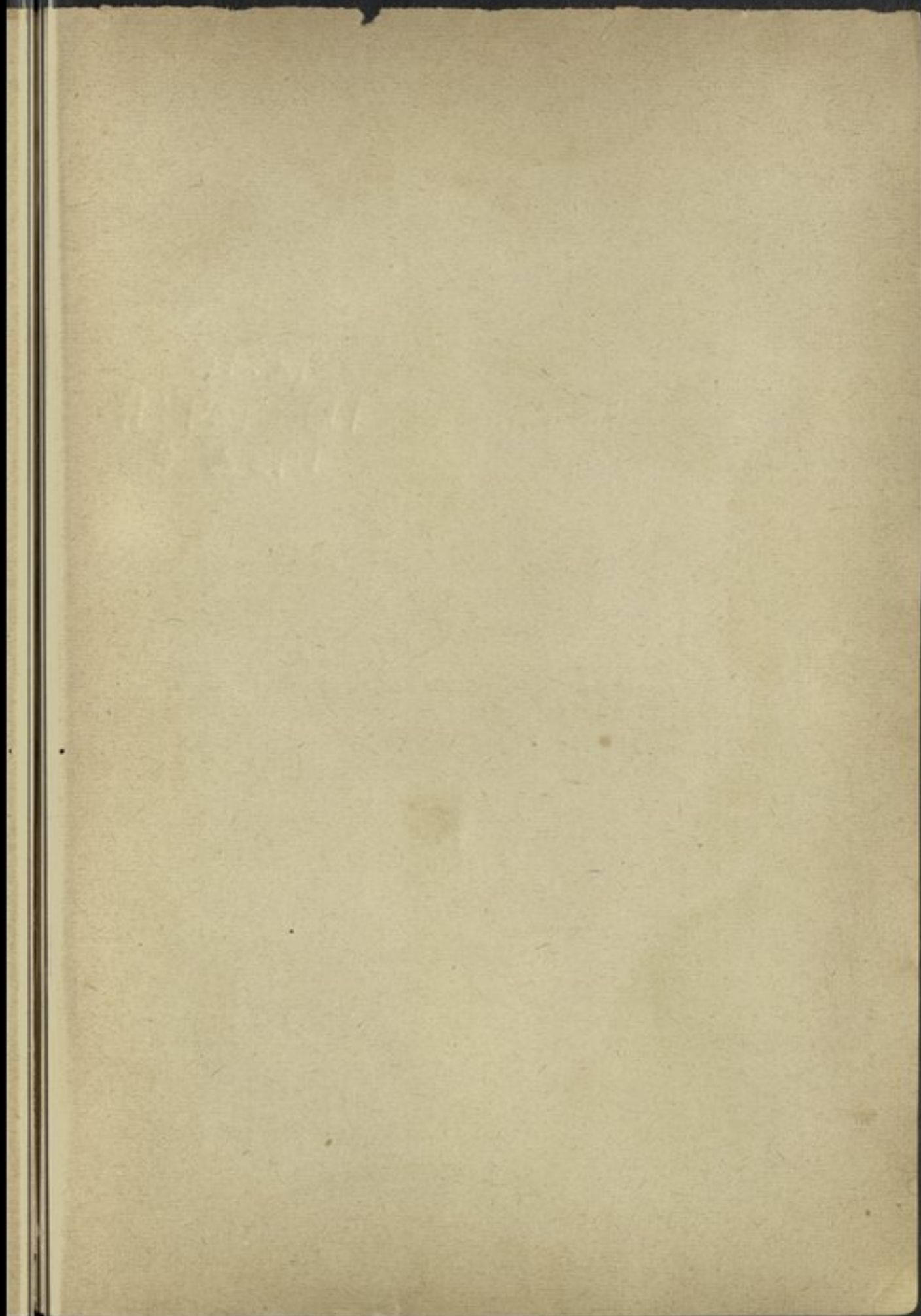
1952

جنة الشوك



مكتبة المعارف

دار المعارف بمصر



« لَا يَرَانِي اللَّهُ أَرْغَى رَوْضَةً

سَهْلَةً إِلَّا كُنَّافَ مَنْ شَاءَ رَعَاهَا »

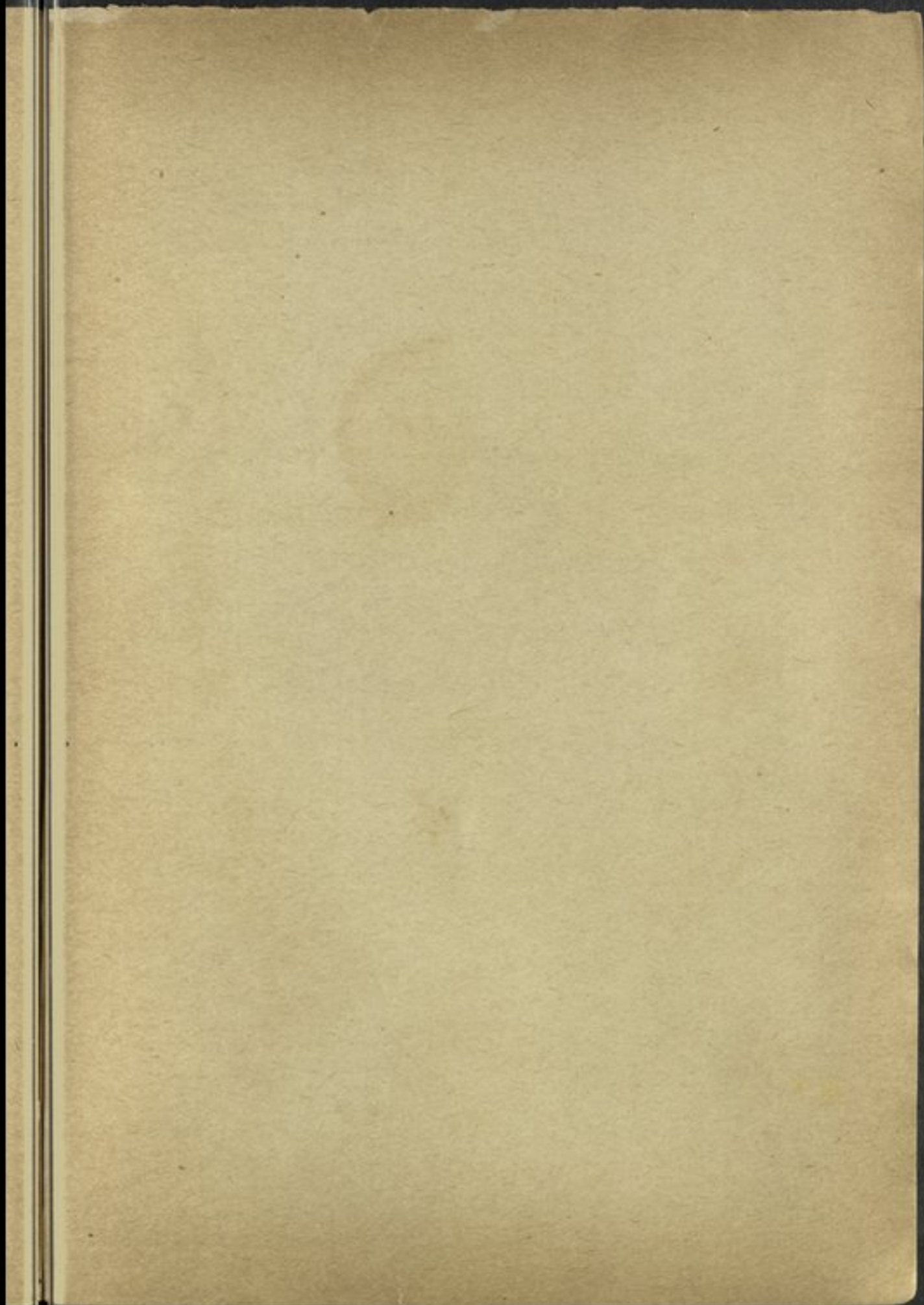
موفق الدين الأربلي

« إِنِّي أَبْغَضُ الشَّعْرَ الْيَسِيرَ ، وَأُكْرِهُ الطَّرِيقَ

الْمَطْرُوقَةَ الَّتِي يَسْلُكُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ ، وَلَا أَشْرَبُ مِنَ

الْحَوْضِ الْمَبَاحِ ، وَأَعَافُ مَا تَبْتَذِلُهُ الدَّهْمَاءُ . »

كلجماك



تقدمة

هذا لون من ألوان القول لم يطرقه أدباؤنا المعاصرون ؛
لأنهم لم يلتفتوا إليه ، أولأنهم لم يحفلوا به ، مع أنه من أشد
فنون القول ملاءمة لهذا العصر الذي نعيش فيه . فنحن
نعيش في عصر انتقال كما يقال لنا منذ أخذنا نعرف الحياة .
وعصور الانتقال تمتاز بما يكثر فيها من اضطراب الرأي
واختلاط الأمر وانحراف السيرة الفردية والاجتماعية عن
المألوف من مناهج الحياة . وهذا كله يدفع إلى النقد ،
ويحمل على العناية باصلاح الفاسد وتقويم المعوج والدلالة
على الخير ليقصد إليه ، وعلى الشر لتتنكب سبيله ، وإظهار
ما يحسن وما لا يحسن في صور قوية أخاذة ، عميقة الأثر
في النفوس ، شديدة الاستهواء للذوق ، عظيمة الحظ من
ملاءمة الطبع .

ونحن نعيش في عصر ما زلنا نسمع أنه عصر السرعة ،
يقصر فيه الوقت مهما يكن طويلا عما نحتاج إلى أن نهض
به من الأعباء التي لم تكثر ولم تثقل على الناس في عصر
من العصور كما تكثر وثقل وتنوع وتزدحم في هذه الأيام
وهذا كله يحمل على أن تؤثر الإنجاز على الإطناب ، ونقصد
إلى ما يلائم وقتنا القصير وعملنا الكثير وهذه اللحظات التي
يتاح لنا فيها شيء من الفراغ للاستمتاع بلذات الأدب الخالص
والفن الرفيع .

وليس من شك في أن حياتنا الحديثة قد وجدت من أدبنا
الحديث مرآة صادقة تصورها أحسن التصوير وأدق وأعظمه
حظاً من إمتاع العقل وإرضاء الذوق وملاءمة الطبع . فقد
عرفنا المقالة منذ أواخر القرن الماضي ، وعرفنا أنواعها المختلفة
وفنونها المتباينة ومحاولاتها الناجحة لتصوير ما نحتاج إلى أن
يصور لنا من صروب الحياة التي نحياها ، ناقدة مرة ومقرظة
مرة أخرى ، معلمة مرة ومعنية بالإمتاع الفني مرة أخرى ،
متناولة للسياسة على اختلاف ألوانها ، وللحياة الاجتماعية

على تباين أشكالها ، وللحياة العقلية على تنوع فروعها .
ثم عرفنا القصة التي تقصد تارة إلى الأدب الخالص ،
وتارة إلى تصوير الحياة المصرية أو الحياة الإنسانية بوجه
عام . وعرفنا الكتب التي يهجم أصحابها فيها على ضرب من
ضروب الحياة ينقدونه نقداً مباشراً ، أو على لون من ألوان
الحياة يحبونه إلى الناس ويدعونهم إليه ، أو على مسألة من
مسائل العلم ، أو قضية من قضايا الفلسفة ، أو مذهب من
مذاهب الأخلاق ، أو اتجاه من اتجاهات الفن والأدب . كل
ذلك وأكثر من ذلك قد ظهر به أدبنا الحديث ، وانتهى
منه إلى حظ لا بأس به . ولكنه مهما يبلغ من الرقي ومهما
يعظم حظه من التنوع والاختلاف والخصب لمن يغنى عن هذا
الفن الجديد القديم الذي ينقد في سرعة وخفة ودقة وإيجاز ،
ويحاول مع هذا كله أن يكون كلاماً مختاراً يروق بلفظه
ومعناه كما يروق بصيغته وأسلوبه ، ويصلح من أجل هذا
كله لأن يكون أدباً يجسد القارىء فيه ما يحب أن يجد في
الأدب من لذة العقل والذوق والقلب والأذن واللسان جميعاً .

وقد قلت إن هذا الفن جديد قديم . ولا بد من أن أفسر
هذه العبارة التي تظهر متناقضة ، وهي على ذلك صادقة كل
الصدق ملائمة كل الملاءمة لحقائق التاريخ الأدبي العام من
جهة ، ولحقائق التاريخ الأدبي العربي من جهة أخرى .
وأول حقيقة يجب تقريرها هي أن هذا الفن كغيره من
فنون القول قد نشأوا منظوماً لا منشوراً ؛ فهو منذ نشأته
الأولى في الأدب اليوناني مذهب من مذاهب الشعر
ولون من ألوانه ، نشأ يسيراً ضئيلاً ، ثم أخذ أمره يعظم
شيئاً فشيئاً حتى سيطر أو كاد يسيطر على الأدب اليوناني
في الإسكندرية وغيرها من الحواضر اليونانية ، في العصر
الذي تلا فتوح الإسكندر . وقد نشأ كذلك في الأدب
اللاتيني ضئيلاً يسيراً ، حتى إذا اتصل الأدباء اللاتينيون
بالأدب اليوناني عامة وبالأدب الإسكندري خاصة ، ترجموا
ثم قلّدوا ثم برعوا ، حتى أصبح هذا الفن من فنون الشعر
اللاتيني ممتازاً أشد الامتياز وأعظمه في القرنين الأول والثاني
للمسيح ، أي في العصر المجيد من عصور الإمبراطورية الرومانية.

أما في أدبنا العربي فقد تأخرت نشأته شيئاً ما ؛ فلم يكد يعرفه الأدب الجاهلي ، أو نحن لا نعرف من الأدب الجاهلي ما يمكننا من أن نقطع بأن الشعراء الجاهليين قد حاولوه أو قصدوا إليه . ولم يعرفه الأدب الإسلامي^(١) . وأكبر الظن أن الشعراء الإسلاميين لم يعرفوه ؛ لأنهم لم يرثوه عن الفحول الجاهليين ، ولأنهم لم يشهدوا حياة متحضرة مترفة كالتي عرفها شعراء الإسكندرية وشعراء روما ، وإنما عرفوا حياة قد اتصلت بالحضارة ولكنها لم تبرأ من البداوة ، وقد حفظت تراثاً قديماً ضخماً ومذهباً في الشعر مألوفاً ، أخص ما يمتاز به طول النفس حتى يؤدي الشاعر ما يحتاج إلى تأديته في أناة ومهل لا تمتاز بالقصر ولا بالاختصار . فلما كان العصر الثاني من عصور الحضارة الإسلامية ، أزهز في العراق هذا الأدب العباسي الجديد ، ظهر هذا الفن في الأدب العربي قوياً خصباً مختلفاً ألوانه في البصرة والكوفة وبغداد . ولكن حياته لم تطل ، وإنما اقتضت

(١) وقد يروى شيء منه بين الفرزدق وعبد الله بن الزبير مثلاً .

ظروف السياسة والأدب أن يعدل الشعراء الفحول عنه عدولا
يوشك أن يكون تاماً ، وأن يستخفى به بعض الشعراء وبعض
الكتّاب ، بل بعض الذين لا تعرف لهم سابقة في الشعر ولا في
النثر لأسباب قد أئينها في غير هذا الحديث .

ثم كانت عصور الضعف الأدبي ، فذهب هذا الفن من
فنون القول فيما ذهب ، واستؤنفت في عصرنا الحديث حياة
أدبية تقليدية غنى فيها أدباؤنا بعمود الشعر ، ولم يخالفوا عن
سنة الفحول من الجاهليين والإسلاميين والمحدثين ، فلم يحفلوا
بهذا الفن الذي لم يزدهر في تاريخ الشعر العربي إلا وقتاً
قصيراً . وقد نُقلت الآداب اليونانية واللاتينية إلى اللغات
الأوربية في العصر الحديث ، فقلد الشعراء الأوربيون في
هذا الفن كما قلدوا في غيره من الفنون ، ثم ابتكروا فيه
كما ابتكروا في غيره من الفنون ، حتى أغنوا آدابهم منه
بالوان رائعة . ولكن النهضة الشعرية التي دفع الأوربيون
إليها منذ أواخر القرن الثامن عشر صرفتهم عنه إلى مذاهب
أخرى من الشعر صرفاً يوشك أن يكون تاماً .

فأنت ترى من هذه الخلاصة القصيرة القاصرة أننا بإزاء
فن من فنون الشعر عرفته الآداب الكبرى القديمة والحديثة ،
وسبق إليه اليونان كما سبقوا إلى غيره من فنون الشعر والنثر .
فإذا كان في هذا اللون الذي يُعَرَّضُ عليك في هذا الكتاب
من ألوان الكلام شيء جديد فهو أنه يُعَرَّضُ عليك نثراً
لا شعراً ؛ لأن الذي يقدم إليك هذا الكتاب لم يتح له
قرض الشعر من ناحية ، ولأنه كغيره من الكتاب القدماء
في الأدب العربي لا يكره أن يزاحم الشعراء على فنون الشعر ،
وأن يوسع ميدان النثر على حسابهم بين حين وحين . وقديماً
طرق الكتاب في البصرة وبغداد وغيرها من الحواضر
الإسلامية فنوناً كان الشعراء يحتكرونها لأنفسهم ، فلم يمنعهم
ذلك من أن يجيدوا التقليد ، ثم لم يمنعهم ذلك من أن
يجيدوا الابتكار ، ثم لم يمنعهم ذلك من أن يكونوا أئمة
يذهب الشعراء في الشعر مذهبهم في النثر . وما أظن أن
حلَّ المنظوم ونظم المنثور يدلان على شيء غير هذا الذي
أشرت إليه .

ولكن من حَقَّ أن تسألني عن هذا الفن الغريب الذي
أطلت القول في تاريخه دون أن أبين لك حقيقته وأعرض
عليك خصائصه ، وأفرِّق لك بينه وبين غيره من فنون الشعر .
وليس المهم هو أني أحسنت ابتغاء الوسيلة إلى نفسك أو لم
أحسنه حين بدأت بهذا الكلام الكثير عن فن لم أبين لك
عن حقيقته ولا عن خصائصه ، وإنما المهم هو أن أكشف
لك عن هذه الحقيقة ، وأعرض عليك هذه الخصائص ،
لنستطيع أن نمضي معاً على شيء من البصيرة والثقة فيما سنستأنف
من القول .

ويجب أن أعترف بأنني لا أعرف لهذا الفن من الشعر في
لغتنا العربية اسماً واضحاً متفقاً عليه ، وإنما أعرف له اسمه
الأوربي ؛ فقد سماه اليونانيون واللاتينيون « إبيجراما »
أي نقشاً ، واشتقوا هذا الاسم اشتقاقاً يسيراً قريباً من أن هذا
الفن قد نشأ منقوشاً على الأحجار ؛ فقد كان القدماء ينقشون
على قبور الموتى وفي معابد الآلهة وعلى التماثيل والآنية والأدوة
البيت أو الأبيات من الشعر ، يؤدون فيها غرضاً قريباً أول

الأمر ، ثم أخذ هذا الفن يعظم ويتعقد أمره ، حتى نأى عن
الأحجار ، واستطاع أن يعيش في الذاكرة وعلى أطراف
الأسنة ، ثم استطاع أن يعيش على أسلات الأقلام وفي
بطون الكتب والدواوين . وقد أطلق اليونانيون واللاتينيون
كلمة « إبيجراما » أول الأمر على هذا الشعر القصير الذى كان
يُنقش على الأحجار ، ثم على كل شعر قصير ، ثم على الشعر
القصير الذى كانت تصور فيه عاطفة من عواطف الحب أو نزعة
من نزعات المدح ، أو نزعة من نزعات الهجاء . ثم غلب
الهجاء على هذا الفن ، ولا سيما عند الإسكندرانيين وشعراء
روما وإن لم يخلص من الغزل والمدح . فلما كان العصر الحديث
لم يكد الشعراء الأوربيون يطلقون هذا الاسم إلا على الشعر
القصير الذى يُقصدُ به إلى النقد والهجاء .

أما أدبنا العربى فإنه لم يحفل بأن يلتصق لهذا الفن اسماً
خاصاً ، وإنما هو يقسم الشعر من حيث الطول والقصر إلى
القصيدة والمقطوعة . وهو يطلق اسم القصيدة على الشعر الذى
تتجاوز أبياته السبعة عند بعض النقاد والعشرة عند بعضهم

الآخر ، ويطلق اسم المقطوعة على الأبيات التي لا تتجاوز السبعة أو العشرة . ومثل هذا يقال في الرجز ؛ فالأرجوزة هي التي تزيد على سبعة أبيات أو عشرة أبيات ، والمقطوعة هي التي لا تزيد على هذا العدد أو ذاك . وواضح أن كلمة المقطوعة يمكن أن تدل على كل شعر لم يزد على هذا العدد أو ذاك مهما يكن موضوعه ، ومهما يكن مذهب الشاعر فيه ؛ فهي لا تدل على هذا المعنى المحدود كما تدل كلمة « إبيجراما » عليه عند اليونانيين واللاتينيين والفرنج . ولكن هذا لا يمنع أن هذا الفن قد وجد في أدبنا العربي وجوداً قوياً بعيد الأثر عظيم الخطر ، على النحو الذي وجد عليه في الإسكندرية وروما وفي الحواضر الأوربية في العصر الحديث .

وأول ما يمتاز به هذا الفن أنه شعر قصير ، فإذا طال فهو قصيدة في الغزل وفي المدح أو في الهجاء . فالقصر إذاً خصلة مقومة لهذا الفن . ثم يمتاز بعد هذا القصر بالتأنق الشديد في اختيار ألفاظه بحيث ترتفع عن الألفاظ المبتذلة دون أن تبلغ رصانة اللفظ الذي يقصد إليه الشعراء الفحول في القصائد

الكبرى ، وإنما هو شيء بين ذلك لا يبتذل حتى يفهمه
الناس جميعاً فتزهد فيه الخاصة ، ولا يرتفع حتى لا يفهمه
إلا المثقفون الممتازون والذين يأنفون لغة الفحول من الشعراء .
ومصدر ذلك أن هذا الفن إنما ازدهر وعظم خطره في
عصور الحضارة المترفة التي تدعو إلى التأنق وتدفع إلى
التكلف ، وتباعد بين الناس وبين عصور البداوة وآدابها الجزلة
التي تبهر وتروع ، ولكن ذوقها يختص به المثقفون الممتازون
دون هذه العامة التي تحيا حياة مبتذلة وتصورها تصويراً مبتذلاً .
والواقع أن الشعراء الذين عُنوا بهذا الفن عناية خاصة ،
فوضعوا له أصوله وقوانينه قد كانوا من شعراء القصور في
الإسكندرية وروما وفي كثير من الخواضر الأوربية . وقد
كانوا من الشعراء المتصلين بالقصور اتصالاً قوياً أو ضعيفاً
في العصر العباسي الأول . فالشاعر اليوناني المبرز في هذا
الفن « كليماك » قد كان شاعر القصر في الإسكندرية
أيام بطلميوس الثاني . والشاعر اللاتيني المبرز في هذا الفن
« مارسيال » قد كان شاعر القصر في روما أيام الإمبراطور

« دوميسيانوس » والشعراء العرب الذين عُنُوا بهذا الفن في
البصرة والكوفة وبغداد قد كانوا يتصلون بقصور الخلفاء
والأمراء والوزراء في هذه الحواضر الثلاث من عواصم
الإسلام . فليس غريباً أن يتأثر هؤلاء الشعراء بهذه الحياة
الناعمة المترفة التي تكون في القصور . وليس غريباً أن يلائموا
بين ما يختارون لمعانيهم من الألفاظ وبين ما في هذه الحياة
المترفة من التأنق والتكلف والامتياز . وليس معنى هذا
أن الألفاظ التي تُختار لهذا الشعر يجب أن يبعد بها التأنق
كل البعد عن الابتذال أو ينأى بها كل النأى عن جزالة
الفحول ، وإنما معناه أن الشاعر يجب ألا يلجأ إلى الألفاظ
المبتذلة المسرفة في الابتذال أو الرصينة المفرقة في الرصانة
إلا حين يدعو الفن إلى ذلك ويضطره إليه اضطراراً .
ثم يمتاز هذا الفن بعد هاتين الخصلتين ، أو قل إن
شئت قبل هاتين الخصلتين ، بخصلة ثالثة تتصل بالمعنى ،
وهي أن يكون هذا المعنى أثراً من آثار العقل والإرادة
والقلب جميعاً . فليس هو شعراً عاطفياً يصدر عن القلب

أو يفيض به الطبع ، وليس هو شعراً يصنعه العقل وحده ،
وإنما هو مزاج من ذلك يسيطر الذوق عليه قبل كل شيء .
أثر العقل فيه أنه نقد لاذع ، أو هجاء مُمضٍ ، أو
تصوير دقيق لشيء يُكره أو يُحب . وهذا كله يحتاج إلى
بحث وتفكر وإلى روية وتأمل ، ولا يأتي مستجيباً لعاطفة
من العواطف أو هوى من الأهواء . وأثر الإرادة فيه أنه
لا يأتي عفواً خاطراً ولا فيضاً القريحة ، وإنما يقصد الشاعر
إلى عمله وإنشائه ، ويستعد لتجويده والتأنق فيه . وأثر
القلب فيه أنه يُفيض عليه شيئاً من حرارته وحياته ،
ويُجرى فيه روحاً من قوته التي يجدّها عند ما يُقيلُ على
الخير أو عند ما ينفّر من الشر ، عند ما يرضى ، وعند
ما يسخط . فالمعنى في هذا الشعر يجب أن يكون قوياً
حتى حين يظهر فيه الضعف ، حاداً حتى حين يظهر فيه
الهدوء ، ممتازاً حتى حين يظهر فيه الابتذال . وكل هذا
لا يأتي إلا إذا صح التعاون بين القلب والإرادة والعقل
والذوق على هذا الإنشاء .

ثم يمتاز هذا الفن بحصلة أخرى لا أدرى كيف
أصورها ، ولكن سأحاول ذلك كما أستطيع ، وهي أن
تكون المقطوعة منه أشبه شيء بالنصل المرفف الرقيق ذي
الطرف الضئيل الحاد قد رُكِبَ في سهم رشيق خفيف
لا يكاد يُنزعُ عن القوس حتى يبلغ الرمية ثم ينفذ منها
في خفة وسرعة ورشاقة لا تكاد تُحس . ومن هنا امتاز
هذا الفن بالبيت الأخير أو البيتين الأخيرين من المقطوعة ،
فهما يقومان منها مقام الطرف الضئيل النحيل الرقيق الرشيق
من نصل السهم . فإذا كانت المقطوعة بطيئة الحركة ثقيلة
الوزن فليست من هذا الفن في شيء . وإذا كانت المقطوعة
مثلومة الحد كائلة لا تقطع إلا بعد جهد ولا تنفذ إلا بعد
مشقة ، فليست من هذا الفن في شيء . وإذا أردت أن
تلمس لهذا الفن صوراً شعرية تحقق هذه الخصال كلها في
أدبنا العربي فأعند إلى شعر بشار وحمام ومطيع وأصحابهم
في البصرة والكوفة وبغداد ، فستجد من ذلك أكثر
مما تريد وأكثر مما تحب .

وهنا أصل إلى الخصلة الأخيرة التي شاعت في هذا الفن عند القدماء من اليونانيين واللاتينيين والعرب ، وإن لم تكن شاملة ولم تبلغ أن تصير قانوناً من قوانين الفن ، وهي هذه الحرية المطلقة التي يتجاوز بها أصحابها حدود المؤلف من السنن والعادات والتقاليد ، والتي تدفع أصحابها إلى الإفحاش في اللفظ ، وإلى الإفحاش في المعنى ، وإلى التحرر مما يفرضه الذوق النقي على الرجل الكريم حين يتحدث إلى الناس أو حين يتحدث عن الناس . وأنت واجد من هذا شيئاً كثيراً عند بشار وأصحابه في البصرة والكوفة وبغداد ، كما أنك واجد منه شيئاً كثيراً عند « كليمك » و « مارسيل » وأصحابهما من شعراء الاسكندرية وروما . ولعلك تجد شيئاً من هذا عند بعض الشعراء المحدثين قبل الثورة الفرنسية في إيطاليا وفرنسا ، ولكنه قليل بالقياس إلى ما تجده عند القدماء .

من هذا كله تتبين حقيقة هذا الفن وخصائصه ، وتبين بنوع خاص أنه لون من ألوان الشعر الهجائي ،

يُقَصِّدُ به إلى القِصَر والخِفة والحدّة ليكون سريع الانتقال ،
يسير الحفظ ، كثير الدوران على ألسنة الناس ، يسير
الاستجابة إذا دعاه المتحدث في بعض الحديث ، أو
الكاتب في بعض ما يكتب ، أو المحاضر في بعض
ما يحاضر ، ثم ليكون مضحكا للسامعين والقارئین بما فيه
من عناصر الخفة والحدّة والمفاجأة ، ثم ليكون بالغ الأثر
آخر الأمر في نفوس الأفراد والجماعات ، يدفعهم إلى ما يريد
أن يدفعهم إليه من الخير ، ويردهم عما يريد أن يردهم عنه
من الشر في غير مشقة ظاهرة أو جهد عنيف .

وليس من شك في أنك قد ارتعت حين بلغت هذا
الموضع من هذا الحديث . قد ارتعت من جهة ،
وثار في نفسك حب الاستطلاع من جهة أخرى . فأنا
أصوّر لك فناً من فنون النقد اللاذع والهجاء الممضّ
الذي هو أشبه بالسهم التي لا تنزع عن القوس إلا أصمّت
أردّت من تصيب . وأنا أصور لك فناً من فنون الهجاء
لا يتورّع أصحابه عن فاحش اللفظ وقبيح المعنى وسيء

الرأى فى الحياة والأحياء . وأنا أقدم لك هذا التصوير
بين يدى كلام أزعج أن بينه وبين هذا الفن صلة . فانت
مشفق مرتاع ، تسأل نفسك إلامَ أريد بهذا الكتاب ؟
وما هذه السهام الرقيقة الرشيقة الموسومة المسمومة التى
أرسلها ؟ وإلى من أريد أن أرسلها ؟ كل هذه الأسئلة
تخطر لك فتثير فى نفسك روعاً وإشفاقاً ، وتثير فى نفسك
شوقاً إلى المعرفة وكلفاً بالاستطلاع . فلا تشفق ولا ترتع ،
ولا تمنّ نفسك الأمانى ولا تخدعها بالغرور ؛ فليس فى هذا
الكتاب هجاء وقد انقضى عصر الهجاء منذ زمن طويل .
وليس فى هذا الكتاب سهام موسومة أو مسمومة فقد
انقضى عصر التراشق بالسهام منذ عهد بعيد . ولست أريد
بهذا الكتاب إلى أحد ؛ فإنى لا أعرف من أمر الذين
ألفتهم من قريب أو من بعيد إلا خيراً .

ولست أريد بهذا الكتاب إلى شىء إلا النقد الذى يسمونه
بريئاً فى هذه الأيام ، والنقد الذى يوجه إلى ألوان من الحياة
لا إلى أفراد بأعينهم من الناس . ومن المحقق أنى لم أخترع

هذا الكلام من لا شيء ، ولم أشتق هذه الصور من الهواء ،
ولم ألتبسها في الصين ولا في اليابان ولا في بلاد الهند
والسند ، وإنما أنا أعيش في مصر ، وأشارك المصريين في
الحياة التي يحيونها ، وأخذ بحظي مما في هذه الحياة مما
يُرْضِي وما يُسْخِط . وأنا بعد ذلك أعرف أقطاراً من
الأرض سافرت إليها وأقمت فيها أو قرأت عنها في الكتب
والأسفار . وأنا بعد هذا وذاك أعرف أجيالا من الناس
عشت بينهم أو قرأت أخبارهم وعرفت آثارهم فيما استطعت
أن أظهر عليه من آثار الناس في الشرق والغرب ، وفي
الشمال والجنوب . ولست أزعم كما زعم أبو العلاء أني
أعرف الناس جميعاً ، وأنى قد بلوت أجيال الناس جميعاً ؛
فقد كان أبو العلاء غالياً حين قال :

ما مرّ في هذه الدنيا بنو زَمَنٍ

إِلَّا وَعِنْدِي مِنْ أَنْبَاءِهِمْ طَرَفٌ

وأنا واثق كل الثقة بأن كثيراً من أبناء الزمان

قد مروا في هذه الدنيا وليس عندي من أنبائهم طرف

طويل أو قصير ، ولكنى واثق بأنى عرفت الناس ،
وبلوت أخبارهم وآثارهم إلى حد ما ، وتأثرت بما بلوت
من ذلك ، فسخطت حيناً ورضيت أحياناً ، وأظهرت ما
وجدت من السخط والرضا فى صراحة واضحة تغني عن
التلميح الغامض .

ثم أنا واثق بعد هذا بأن ما يقال فى نقد الناس
وحمدهم إنما هو أشبه بالمرايا ، يرى الناس فيها أنفسهم ؛ لأننا
لا نقدر عقاريت الجن ، ولا نحمد الملائكة الأبرار ، وإنما
ننقد ونحمد ما نرى وما نعلم من أعمال الناس وآثارهم .
فأنا صادق حين أقول إنك لن تجد فى هذا الكتاب
هجاءً لاذعاً ، ولا نقداً ممضاً . وأنا صادق حين أقول
إنك ستجد فى هذا الكتاب مرايا يمكن أن يرى الناس
فيها أنفسهم . وليس عليهم ولا على من ذلك بأس ؛ فما
أكثر ما نرى أنفسنا فى كثير مما نقرأ من آداب القدماء
والمحدثين مهما تكن اللغات والعصور والظروف والبيئات
التي تنشأ فيها هذه الآداب .

وأنت بعد هذا كله مضطر إلى أن تخفف من شوقك
إلى المعرفة وكلفك بالاستطلاع ؛ فإنى لا أريد أن أعلمك
شيئاً ، ولن تتعلم من هذا الكتاب شيئاً ، وإنما هو كلام
ستقرؤه فترضى عنه أو تسخط عليه من الناحية الفنية
الخالصة لا أكثر ولا أقل .

وواضح أنى لم أذهب مذهب القدماء فى الاندفاع
مع الحرية الجامحة ؛ فالأدب العربى الحديث أكرم على
وآثر عندى وأنت وأنا أكرم على نفسى من أن أذهب
هذا المذهب الذى قد مضى مع أصحابه القدماء .

وإذا أردت أن تعرف الحق الصريح من أمر هذا
الكتاب فإنى منبئك به فى سذاجة يسيرة لا تكلفك
مشقة ولا جهداً ؛ لأننى أنا لم أتكلف فى هذا الكلام
مشقة ولا جهداً . فأنا رجل أحب القراءة ، وأحب
القراءة المختلفة المتنوعة : أقرأ فى الأدب العربى القديم
والحديث ، وأقرأ فى الآداب الأوروبية القديمة
والحديثة ؛ وأجد فى هذه القراءة متعة تكسب الحياة قيمة

خاصة . ولكن قد أقف عند هذا الفن أو ذاك من فنون
الأدب وقفة خاصة ، فأسأل نفسي : أيوجد هذا الفن في اللغة
العربية أم لا يوجد ؟ أو أسأل نفسي . أتستجيب اللغة
العربية لهذا الفن إن دُعيت إليه أم لا تستجيب ؟ ثم
أسأل نفسي : أفأقدر أنا على أن ألائم بين هذا الفن وبين
اللغة العربية أم غير قادر ؟ ولا أكاد ألقى على نفسي هذا
السؤال الأخير حتى أطلب إلى صاحبي أن يأخذ القلم
والقسطاس ، ثم آخذ في الإملاء ويأخذ هو في الكتابة .
فأما إن أحسست شيئاً من التوفيق إلى ما أردت فأنا
ماض في المحاولة حتى أنتهي بها إلى بعض غايتها ، ثم
أذيع ذلك في الناس ليقروا ويرضوا وليسخطوا ، وليقلد
منهم المقلد ، وليعرض منهم المعرض . وأما إن أحسست
عجزاً عن هذه الملاءمة فأنا أجدد المحاولة مرة ومرة حتى إذا
استقيأست أعرضت عن الإملاء وأعرض صاحبي عن القلم
والقسطاس . والذين يقرءون ما أذعت في الناس من الكتب
منذ أكثر من ربع قرن يستطيعون أن يروا ذلك في كثير

مما أذعت فيهم . وأن يتبينوا في وضوح وجلاء أنى
أستجيب حين أكتب وحين أكتب في الأدب خاصة
لشئئين اثنين : أحدهما ما أرى من رأى أو أجد من عاطفة
وشعور . والآخر امتحان قدرة اللغة العربية على أن تقبل
فنونا من الأدب يطرقها القدماء ، وامتحان قدرتى أنا على
أن أكون الصلة بين اللغة العربية وبين هذه الفنون
والآداب . وقد قرأت فيما قرأت كثيراً من شعر القدماء
والمحدثين فى اللغة العربية وفى غيرها من اللغات التى أستطيع
أن أفهمها . وأعجبني هذا الفن من فنون النقد والهجاء .
ورأيت أن العرب قد أخذوا بحظ منه فى القرن الثانى
فأجادوا ، ولكنهم لم يكادوا يتجاوزون هجاء الأشخاص وهذا
العبث الذى كان القدماء يأنفونه ويتهاكون عليه . ثم
رأيت أن هذا الفن قد ذوى زهره وغاض ماؤه حين
انقضى العصر العباسى الأول ، وأن الشعراء الفحول قد عادوا
إلى الهجاء الطويل ، واستأنفوا مذهب القدماء من أعلام
الجاهلية والإسلام .

ولم أكن صاحب شعر ولا قدرة على النظم ، فلم أحاول
إذاً أن أردّ لهذا الفن حياته كما ألفها أيام بشار وأصحابه .
ولكن ما يمنعني أن أذهب في هذا الفن مذهب القدماء على
أن أتخذ النثر أداة مكان الشعر !!

فلنجرب إذاً ، ولنمتحن أنفسنا ، ولنمتحن لغتنا ، ولنمتحن
ذوق القراء . وقد جربت وأذعت مقطوعات قليلة لا تبلغ
الست أو السبع في الأهرام ، فرضى الناس وسخطوا ، وأثنوا
وعابوا . ولست أريد من الإنتاج الأدبي إلى أن أذوق الرضا
والسخط جميعاً . وإذا فلنمض في التجربة ، وقد
مضيت . وهأنذا أقدم إليك مائة ونصف مائة من هذه
المقطوعات . فاقراً إن شئت ، وارض إن أثارت القراءة في
نفسك الرضا ، واسخط إن أثارت القراءة في نفسك السخط ،
وأنا أعفيك من الثناء والتقريظ مخلصاً ، وأبيح لك النقد
والعيب مخلصاً أيضاً ، وأتمنى أن يتاح للشباب من القراء أن
يحاولوا من ذلك مثل ما حاولت ، يبلغوا من ذلك أكثر
مما بلغت . فالله يشهد ما كتبت ولا خطبت ولا حاضرت

إلا وفي نفسى أمنية هي أن أدفع الشباب إلى أن يعلموا
ويعلموا وينتجوا ، ويتاح لهم أكثر مما أتيج لي من النجاح
والتوفيق .

دعاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : علمني كلمات أنجيه
بهنّ إلى الله في أعقاب الصلوات الخمس ؛ فإنني أجد في
نفسي حاجة إلى الدعاء في هذه الأيام الشّداد .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : سَلِ الله يا بُنَيَّ أَنْ
يَعْصِمَكَ مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ الَّذِي تَضَخُّمُ لَهُ الْأَجْسَامُ ، وَمِنْ
ضَيْقِ الْعَقْلِ الَّذِي تَتَّسِعُ لَهُ الْبَطُونُ ، وَمِنْ قِصَرِ الْأَمَلِ
الَّذِي تَمْتَدُّ لَهُ أَسْبَابُ الْغُرُورِ .

وكنت حاضر هذا الحديث بين الأستاذ الشيخ
والطالب الفتي ، فقلت في نفسي : ما أجدر الشّباب
المصريين أن يَتَّخِذُوا مِنْ هَذَا الدَّعَاءِ لَأَنْفُسِهِمْ بَرْنَامَجًا
وَشِعَارًا !

فيض

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فَسِّرْ لِي قَوْلَ الْقَائِلِ
« فاض الإناء » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هذا مجازٌ يا بُنَيَّ في
كلِّ أمرٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ حَتَّى أَصْبَحَ لَا يُطَاقُ . أَلَمْ تَسْمَعْ
قَوْلَ الشَّاعِرِ :

شكوتُ وما الشكوى لِمِثْلِي عَادَةً
ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائها
قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فَإِنِّي أَعْرِفُ أَوْعِيَةً
لَا تَمْتَلِي ، وَآنِيَةً لَا تَفِيضُ .

قال الأستاذ الشيخ مبتسماً : وما ذاك ؟
قال الطالب الفتي : خزائن الأغنياء التي مهما يُصَبَّ فيها
من المال فهي ناقصة ، وجهنم التي يُقال لها : هَلِ امْتَلَأَتْ ؟

فتقول : هل من مزيد ؟ وعقول العلماء التي لا تبلغ
حظا من المعرفة إلا طمعت في أكثر منه .

قال الأستاذ الشيخ ضاحكا : لقد أصبحت حكيما منذ
اليوم ، ولكن تعلم أن إناء واحد قد يفيض ، فيصبح
مضربا للأمثال ، ومصدرا للعبر ، وبعيدا الأثر في حياة
الأجيال . ألا تذكر سئل العرم ! !

حرية

قال أحد أمراء الموصل وكان أريباً ، لأحد ندمائه
 وكان أديباً : « ما شرُّ ما يُمتَحَنُ به الأديبُ ؟ » .
 قال النديم وهو يتسم : « فَقْدَانُ الذوق الذى
 يجعل أدبه فاتراً خيراً منه البارد » . وأطرق النديم لحظة
 ثم قال للأمير « وما شرُّ ما يُمتَحَنُ به صاحب السلطان ؟ »
 قال الأمير وقد ظهر فى وجهه العبوس : « ثناء الذين
 لا يُحسنون الثناء ، يقولون فينا فلا يُصدِّقهم أحد ،
 ويقولون فينا فلا نصدِّقهم نحن : لأنهم يقولون فينا وهم
 لا يصدِّقون أنفسهم » . قال أحد الجلساء : « فما يمنعكم أن
 تحظروا على الأديب الذى لا ذوق له أن يُحدِّثَ أدباً ،
 وعلى المادح الذى لا فنَّ له أن يُحدِّثَ مدحاً ؟ ١ »
 قال الأمير وعلى ثغره ابتسامة خير منها العبوس :
 « فإنَّ الحرية تأمرنا أن نُخْلِى بين الناس وبين ما يقولون
 من الجدِّ والهراء » .

حرية

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : ألم تَرَ إلى فلان وُلِدَ
حُرًّا وشبَّ حُرًّا ، وشاخ حُرًّا ، فلما دنا من الهَرَمِ
آثر الرِّقَّ فيما بَقِيَ له من الأيام على الحرية التى صَحِبَهَا
فى أَكْثَرِ العمر ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أضعفته السِّنُّ فلم يَسْتَطِعْ
أنْ يَحْتَمِلَ الشيخوخةَ والحرِّيةَ معًا ، وأنت تعلم أن الحرية
تَحْمِلُ الأحرارَ أعباءً ثَقِيلاً .

أدب

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : أليس قد أدبنا
الإسلام بأن نجلس بحيث ينتهي بنا المجلس ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : بلى ! ولكن إذا انتهى
بك المجلس إلى حيث تجاور مَنْ لا تحب أن يعرف
السلطان أنك جاورته ، فلا عليك أن تتخطى رقاب
الناس وتجلس حيث تأمن الغضب ولا تتعرض للأئمة ..
وقد أدبنا الحياة بأن الضرورات ، تُبيح المحظورات .

حرية

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان يُظهِر
سيرة الأحرار ويُخفي سيرة العبيد ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ذلك أخـرى أن
يُظهِره على دخائل الأحرار لينقلها إلى سادته .

حرية

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان يرى آراء
المُسْرِفين من أهل الشمال ، ويسير سيرة المُسْرِفين
من أهل اليمين ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لأن له عقلَ الحرِّ
وأخلاقَ العبيد .

وصول .

لم يكن شيئاً ثم ارتقى حتى أصبح شيئاً مذكوراً .
وقد سلك في تصعيده من الحضيض إلى القمة طريقاً
وعرة ملتوية ، يغمرها ضوء الشمس المشرقة المحرقة
أحياناً ، وتنظر إليها الشمس من وراء نقاب من
السحاب أحياناً أخرى ، ويحجبها ظلام قائم فاحم
في كثير من أجزائها . فلما ارتقى إلى القمة واطمأن في
مكانه منها ، نسي ماضيه كله ، وأعرض عن مستقبله
كله ، وعاش ليومه الذي هو فيه .

نسى الماضي ، فلم يتعظ ، وأعرض عن المستقبل ،
فلم يتحفظ ؛ ومضى مع هواه طاغياً باغياً ، حتى أخاف
الناس من نفسه ، وأخاف نفسه من الناس ؛ فلم يأمن
إلى أحد ، ولم يأمن إليه أحد . وإذا هو مضطرب إلى أن
يظهر الحب لقوم يبغضهم أشد البغض ، وإذا الناس

من حوله مضطرون إلى أن يُظهروا له حُبًا متهاكًا
وَيُضْمِرُوا له بغضًا مُهْلِكًا ، وإذا الأسباب بينه وبين
الناس تَرَثَ ، حتى إن أيسر الأمر لينتهي بها
إلى الانقطاع .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لقد سمعتُ منك
ولكني لم أفهم عنك ، وإنك لتحدثني بالألغاز منذ حين ،
فماذا تعني وإلام تريد ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنَّ حُبَّ الاستطلاع
إنَّ تقع في بعض الوقت فقد يضرَّ في بعضه الآخر .
وما عليك أن تفهم شيئًا وتغيبَ عنك أشياء ! إنما هي
مَرَايا تُنصَّبُ للناس ، فليُنظر فيها من يشاء وليُعْرَضْ
عنها من يشاء . وربما كان الإعراض عنها خيرًا من
النظر فيها ؛ فقد ينظر فيها من يحبُّ الاستطلاع
مثلك فيسوءه ما يرى لأنه يرى نفسه .

ضمائر

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ هَذِهِ
الضُمَائِرِ الَّتِي تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ ، ثُمَّ تَسْتُرُ وَرَاءَ أَفْعَالِهَا ،
وُجُوبًا مَرَّةً ، وَجَوَازًا مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَهِيَ دَانِيَةٌ نَائِيَةٌ ،
وَبَادِيَةٌ خَافِيَةٌ ، وَهِيَ مَلْحُوظَةٌ غَيْرُ مَلْفُوظَةٌ ، وَمَعْقُولَةٌ
غَيْرُ مَقُولَةٍ ؛ وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ تُكَلِّفُ الْأَسَاتِذَةَ وَالتَّلَامِيذَ
كَهَمًّا ثَقِيلًا ، وَعَنَاءً طَوِيلًا !

قال الأستاذ الشيخ التلميذ الفتي : مَا أَنْتَ وَهَذِهِ الضُمَائِرُ
الْبَرِيئَةُ النَّقِيَّةُ ! إِنَّمَا هِيَ بَنَاتُ الْوَهْمِ ، قَدْ فَرَضَهَا الْعُلَمَاءُ
رِيَاضَةً لِعُقُولِ الطَّلَابِ ، عَلَى التَّحْلِيلِ وَالْإِعْرَابِ ،
وَهِيَ لَا تُؤْذِي أَحَدًا مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ . فَإِذَا عَلِمْتَ
عِلْمَهَا ، وَذَلِكَ يَسِيرٌ ، فَدَعَهَا وَشَأْنَهَا ، وَتَحَدَّثْ عَنْ
ضُمَائِرٍ أُخْرَى أَشَدَّ فِي حَيَاةِ النَّاسِ خَطَرًا ، وَأَبْعَدَ فِي
أَعْمَالِهِمْ أَثَرًا ، تَسْتَخْفِي فِي أَعْمَاقِ النُّفُوسِ ، عَابِسَةً تُشِيعُ
الْإِبْتِسَامَ الْمُرِيبَ ، وَمُظْلِمَةً تَنْشُرُ الضُّوْءَ الْخَفِيفَ .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لقد عُدْتُ إلى ما دأبتَ
عليه من الإلغاز ، فوضَّح لي بعض ما تقول . ! .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ما تقول في ضمائر
الأطباء حين يعودون المرضى ، وفي ضمائر المرءوسين
حين يتلقَّون أمر الرؤساء ، وفي ضمائر الطلاب حين
يسمعون دروس الأساتذة ، وفي ضمائر بعض الأصدقاء
حين يتسِمُّون الأصدقاء ؟

وكننت حاضر هذا الحديث ، فتلوت قول الله عز وجل :

« وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنَقَلْنَا عَنْهُمْ
الْيَمِينَ وَذَاتَ الشَّمَالِ ، وَكَلَّمَهُمْ بَاسِطُ ذِرَاعَيْهِ
بِالْوَصِيدِ ، لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا . »

جحدود

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : قد سمعنا منك وفهمنا
عنك ، وأعجبنا بك ، ولكننا لم نؤمن لما حدثتنا به صباح
اليوم ؛ فقد فسرت لنا ما نقرأ في الكتب ، ولم تفسر
لنا ما نرى في الحياة .

قال الأستاذ الشيخ لطالبه الفتي في صوت يكاد يبين عن خوف
دفين : وما ذاك ؟ .

قال الطالب الفتي : لقد أنبأتنا ، كما أنبأتنا الكتب ،
بأن من قدم إلى الناس خيراً لقي منهم خيراً ، ومن قدم
إلى الناس شراً لقي منهم شراً وقصصت علينا من كتاب
المكافأة في ذلك قصصاً رائعة ، وأخباراً بارعة . ولكننا
ننظر فترى الصنيعة لا تكاد تُغرسُ في قلوب الناس
حتى تستحيل إلى شجرة الزقوم ، تلك التي وصفها القرآن
الكريم ، بأنها طعام الأثيم ، كالمُهْلِ يَغْلِي في البطون
كغلي الحميم .

قال الأستاذ الشيخ وعلى وجهه ابتسامة رفيقة رقيقة : فإن هذه الشجرة كما وصفها القرآن الكريم ، تَخْرُجُ في أصل الجحيم ، وليست قلوب الناس كلهم جحيماً ؛ وإن منها لَجَنَّاتٍ يستجِيل فيها الشرُّ خيراً ، والمساءة إحساناً . فاجعل ما تقوله لك من هذا عزاء عما تقوله لك الحياة ، وقَدِّم الخيرَ غير يائس من أن تُجْزَى عليه بمثله .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فإنني أكره أن أتَجَرَّ بالمعروف ، وأؤثر أن أقدم الخير لا ألتمس له جزاء ، وأؤثر إذا لم يكن بُدٌّ من الجزاء أن أنتظره من الله الذي لا يذهب العُرفُ بينه وبين الناس .

وكنت حاضر هذا الحديث ، فذكرت قول مؤرخ روماني عظيم قلما ينظر فيه الأدباء المعاصرون : « إن الصنعة لا تزال محتفظة بقيمتها ما دام شكرها يسيراً ؛ فإذا جَلَّتْ عن الشكر جُوزِيَتْ بالكفر والجحود » .

حمارا رهان

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : أَيْ صَدِيقِيكَ شَرٌّ :
هذا الذى يُؤَادُّكَ حين تستغنى عنه ويُحَادُّكَ حين تحتاج
إليه ، أم هذا الذى يَكْلُوكُ حين ترزؤك النعمة ،
ويشَنُّوكُ حين تفجؤك النعمة ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : كلاهما مريض يا بُنَى
يَحْسُنُ أَنْ نَلْتَمِسَ لَهُ الطَّبَّ وَتَقْدَمَ إِلَيْهِ الدَّوَاءُ . فَأَمَّا
أَوَّلُهُمَا فَعِلَّتُهُ الْأَثَرَةُ الَّتِي تُفْسِدُ الْمَرْوَةَ . وَأَمَّا ثَانِيَهُمَا
فَعِلَّتُهُ الْحَسَدُ الَّذِي يُلْبَسُ ثَوْبَ الْكِبْرِيَاءِ .

وكنتم حاضر هذا الحديث ، فلم أستطع أن أدافع ضحكاً
عريضاً ؛ فنظر الشيخ وتلميذه إلى شىء من وجوم
كأنهما يسألان عن هذا الضحك . فقلت : أذكر تمانى
قصة العبادى ؛ فقد قيل له : أَيْ حِمَارِيكَ شَرٌّ : هذا
الذى يُبْطِئُ بِكَ حين تحتاج إلى السرعة . أم هذا الذى
يُسْرِعُ بِكَ حين تحتاج إلى الأناة ؟ فقال « هذا ثم هذا . »

حُلَّة

همَّ أمير الموصل أن يُهدي إلى أحد ندمائه خِلعةً نفيسة، ثم غضب عليه لبعض الأمر قبل أن تبْلُغه الهدية. وكان النديم طويلاً في السماء عريضاً في الفضاء. وقد أراد الأمير أن يَغِيظَهُ، فأهدى خِلعته إلى نديم آخر له كان قصيراً لا يكاد يرتفع عن الأرض، وضيّقاً لا يكاد يشغل من الفضاء إلا حيزاً ضئيلاً. وتلقّى النديم هدية الأمير جَذْلاً راضياً. فلما دخل فيها ضاع بين ثناياها؛ لأنها لم تُفَصِّلْ على قَدِّهِ. فأما الأمير وحاشيته فضحكوا وأغرقوا في الضَّحْك. وأما النديم فلم يَشْكُ في أن الخِلعة قد خُلِقَتْ له. وأما الناس فقد جعلوا كلاماً رأوه يشيرون إليه، ويقول بعضهم لبعض: أنظروا إليه! إنه يرفل في حُلَّة فلان.

وقار

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : أترى إلى وقار فلان
حين يسمي ؟ إن الناس لِيُعْجَبُونَ بما يصطنع من
الأناة والمهل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لو استطاع أن يسمي
وهو واقف ، وأن يتحرك وهو ساكن لفعل .

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ليتني يأخذ نفسه بمثل
ما يأخذ به جسمه من الوقار !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : هيهات ! ذاك شيء
لا يُتاح إلا لأولى العزم .

ذاكرة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أرى ذاكرة
الشعوب إلا كهذه اللوحات السود التي تُوضع للطلاب
والتلاميذ في عُرفات الدرس وحُجراته يُثبتُ عليها هذا
الأستاذ ما يمحوه ذاك ، وهي قابلةٌ للمحو والإثبات ،
لا تستبقى شيئاً ولا تمتنع على شيء .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هذا حق ، ولكن
وراء هذه اللوحات السود في ضمائر الشعوب ، لوحات
أخرى ناصعة تحفظ ما يسجل التاريخ من أعمال الناس .
ومن وراء هذه وتلك كتابٌ لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة
إلا أحصاها ، ثم يسأل أصحابها عنها يوم لا تنفع خُلة
ولا شفاعة . فأضعفُ الناس عقلاً وأوهنهم عزماً
وأكلهم حُداً هو الذي لا يحفل إلا بلوحاتك السود .

والرجل الماهر الأثر ذو القلب الذكي والبصيرة النافذة ،
هو الذي يحفل بما وراءها من هذه اللوحات الناصعة التي
يكتب فيها التاريخ . والرجل كل الرجل هو الذي يمتاز
بالضمير الحي والقلب النقي والنفس الزكية ، فلا يحفل
بهذه ولا تلك ، وإنما يحفل بهذا الكتاب الذي تُحصى
الحفظة فيه على الناس أعمالهم ، لتعرض عليهم بين يدي
الله في يومٍ مقداره خمسون ألف سنةٍ مما تعدّون .

إخاء

كانا صديقين وفيين، قد صفا بينهما الودّ، وارتفعت
بينهما الكلفةُ، واشتدَّت حاجة كلِّهما إلى صاحبه،
حتى لم يكونا يفترقان إلا كارهين. وقد استقام لهما
الودّ الخالص، والحب الصّفوّ، ما لم يقدر أحدهما
لصاحبه على شيء من متاع الدنيا. ثم أُتيح لأحدهما
حظٌّ من قوة، فأسدى إلى صاحبه طرفاً من خير.
فما هي إلا أن تستحيل الصلة بينهما إلى شيء مُعقّد
أشدّ التعقيد، فيه الاعتراف بالجميل؛ والاعتراف بالجميل
يكدر صفو المودة. وفيه الاستزادة من النفع؛ ودخول
المنفعة بين الأصدقاء مفسدٌ للصداقة. وفيه الموجدة
إذا لم ينل صاحب المنفعة ما يبتغي، وحاجة من عاش
لا تنقضى، كما يقول الشاعر القديم؛ ودخول الموجدة
بين الأصدقاء؛ حين لا يبلغ أحدهم من نفع صاحبه

ما يريد ، أول مراتب العداء . وفيه الحسد ؛ والحسد
يأكل المودة كما تأكل النار الحطب . ثم فيه الجحود ؛
والجحود لا يفسد الودّ وحده ، ولكنه يفسد المروءة
أيضاً . أوجب إذاً أن يعجز الأصدقاء عن أن ينفع
بعضهم بعضاً لتصحّ بينهما الصداقة ، وليخلص
بينهما الإخاء ؟ لا أدري ! ولكنني أعلم أن ليس أخطر
على المودة الخالصة من دخول المنفعة بين صديقين .

إخاء

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إن الشاعر يُخَيِّرُنا بين
الوَحدة واحتمال الإخوان على عِلَّاتهم حين يقول :

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَوُجَانِبُهُ

فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ تَحِبُّ لِي أَنْ أَخْتَارَ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : إنَّ الشاعر لم يُخَيِّرْكَ ،
وإنَّما أَلْزَمَكَ الْخَصْلَةَ الثَّانِيَةَ ؛ فَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْسَلَّ
مِنَ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ ، كَمَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَبُو الْعَلَاءِ أَنْ يَنْسَلَّ
مِنْهَا . فَاحْتَمَلَ الْحَيَاةَ الْاجْتِمَاعِيَةَ كُلَّهَا ، وَاصْبِرْ لِمَا فِيهَا
مِنَ الْمِحْنِ .

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : وترى إخاء الإخوان
مِحْنَةً ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : أَيْ مِحْنَةً !

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : كيف ذاك ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إذا وفى لك الإخوان
امْتَحِنْتَ فى وفائهم وفرضت عليك المروءة ألا تَفُتُّرَ
ولا تَبْطُرَ ، ولا تستغلّ الوفاء فتشقى عليهم بما لا يطيقون .
وإن تنكركَ لك الإخوان امْتَحِنْتَ فى تنكركم وفرضت
عليك المروءة ألا تقسوا ولا تظلم ولا تتجنى ولا تنتظر
منهم فوق ما يطيقون وأنت مُمْتَحِنٌ بعد ذلك فى نفسك ،
تفرض عليك المروءة أن تفي لهم إذا وفوا ، وتصفو لهم
إذا صفوا ، وتعرفهم حين يُنكروناك وتُنصِحهم حين
يَغشَوناك ، وتبرّهم حين يَغدرُونَك ، وتُعطيهم أكثر مما
يُعطونك ، وتسير من إخوانهم على مثل الشوك .
صَدَّقْنِي ! إن إخوان محنة لا يثبت لها
إلا أولو العزم .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فإني أؤثر الوحدة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هيهات ؟ تلك أُمْنِيَّة
تُبْتَغَى ولا تُنال .

إخاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : كيف تقولون في

إعراب هذا البيت :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَا لَهُ

كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغير سِلَاح

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أمّا النحويون فيقولون

إن « أَخَاكَ » منصوبٌ على الإغراء ؛ لأن الشاعر

يرغب في حب الإخوان والوفاء لهم .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وأما أنت ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وأما أنا فأعرب به منصوباً

على التحذير ، وأغير فيه كلمة واحدة فأنشده :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَا لَهُ

كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بكلّ سلاح

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إنك لشديد التشاؤم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي :

وهل أنا إلا كالزَّمانِ إذا صحَّأ
صحَّوتُ وإن ماق الزمانُ أموقُ

إخوان

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : إني أقرأ في عيون الأخبار أن المأمون قال : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه ، وطبقة كالدواء لا يُحتاج إليه إلا أحيانا ، وطبقة كالداء لا يُحتاج إليه أبداً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : عسى المأمون يا بُنَيَّ أن يكون مصيباً في أيامه ، ولكنك تعلم أننا نعيش في أيام شَحَّ فيها الغداء ، وقلَّ فيها الدواء ، وانتشر فيها الداء . وأَخْلِقُ بمن بقي من الإخوان أن يكونوا كما بقي لنا من الحياة : جوعٌ لا يدفعه غداء ، وداءٌ لا يشفيه دواء .

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : وإذا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وإذا فاعْمَلْ صالحاً ، وانتظر الجنة التي وَعَدَ الله عباده الصالحين ، والتي لا يُحْرَم

أهلها غداءً ، ولا يشكون داءً ، ولا يلبسون دواءً ، ولا
يعدّون أخًا وافيًا ، وصديقًا راضيًا ، وخليلا صفيًا .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وإلى أن أدخل الجنة

إن أتيح لي دخولها ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فأتل قول الله عز وجلّ

« وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

ذوق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إنكم تعلموننا من العلم ما يُفسد علينا الذوق والحكم جميعاً .

قال الأستاذ الشيخ وهو يسم لتلميذه الفتي : وما ذاك ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ذاك أنني قرأت بيتاً كان طبعي خليقاً أن يُعجب به ، لولا أنكم تعلموننا الشكّ وسوء الظن ، والبحث عن الأسباب التي تدعو الشاعر إلى أن يقول ، والكاتب إلى أن يكتب . فلما قرأت هذا البيت من الشعر وهم طبعي أن يرضى عنه ويُعجب به ويُطيل تعمّقه والتفكير فيه ، سألت نفسي كما علمتموني أن أسألها : ألا يمكن أن يكون مصدر هذا البيت رغباً أو رهباً أو حسداً ، فأدركني فتور الهمة وكرّال الحدة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما هذا البيت ؟ !

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : « هو بيتُ قاله رجلٌ
من ذوى رأى كان يُرَدُّ دائماً عن باب الحجاج :
أَلَا رَبَّ نُصَحِّحُ يُغْلَقُ البابُ دُونَهُ
وَعِشَّ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرَّبُ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وما عليك أن يكون
مصدرُ هذا البيت رَغْبًا ، أو رَهْبًا ، أو حَسَدًا ، أو
غير ذلك من عواطف الشرِّ والخير ! أَتُرَاكَ تُعْرِضُ
عن الزهرة الجميلة ، والوردة النَّضْرَة ، والعُشْبُ ذى
الرَّوَاءِ والبهجة ، حين تعلم ما يَتَّخِذُ البستاني من
الوسائل إلى استنباتها وجعلها زينةً للحياة ؟

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : لا !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : فاستمتعْ بالأدب ،
وتعمِّقْ معانيه ، وذُقْ جماله ، كما تستمتع بالحديقة ،
واجعلْ بحثك عن التاريخ الأدبى كبحث أستاذ الزراعة
عن أصول الزهر والشجر ، لا يصرفك عن المتعة ،

ولا يُزَهِّدْكَ فِي اللَّذَّةِ ، وَلَعَلَّه أَنْ يُغْرِيكَ بِهِمَا ،
وَيَرْغَبَكَ فِيهِمَا . أَلَيْسَ مِنَ الرَّائِعِ أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ ، وَالْجَمِيلَ مِنَ الْقَبِيحِ !!

معارضة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إني أقرأ في عيون
الأخبار لابن قتيبة أن عمرو بن عبيد مرّ بجماعة
عُكُوفٍ ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : سارقٌ يُقَطَّعُ .
فقال : لا إله إلا الله ، سارق السرّ يقطعه سارقُ
العَلَانِيَةِ فهل تُنبئني إلّام أراد ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كان عمرو بن عبيد
زعيمًا من زعماء المعتزلة ، وكان زاهدًا في الدنيا مُخلصًا
لدين ، وكان شجاعًا لا يخشى في الحق لومة لائم ؛ وما
أراد بقوله هذا إلا أن يصف عاملَ البَصْرَةِ ، بأنه كان
سارقًا لأموال المساكين ، يَسْرِقُهَا جَهْرًا لأنه لا يخاف
أحدًا ، منافقًا في إمضاء حكم الله ، يعاقب على إثم
يسيرٍ يستخفي به صاحبه ، وهو يقارف أعظم الآثام
وأضخمها . فإن اجتمع لك زهد عمرو بن عبيد في

الدنيا وجرّصه على الدين وشجاعته على مواجهة
الحكام بما لا يحبون ، فانهمض بتبعات السياسة ،
وإن لم تجتمع لك هذه الخصال فالتمس لنشاطك
سبيلاً أخرى .

معارضة

قال الطائِبُ الفَقِي لأستاذهِ الشَّيْخ : وإني أقرأ في كتاب
عيون الأخبار لابن قُتَيْبَةَ أن طارقاً صاحبَ شُرْطَةِ
خالد القَسْرِيِّ مرَّ بابن شُبْرُمَةَ وطارق في موكبه ،
فقال ابن شُبْرُمَةَ :

أراها وإن كانت تُحِبُّ كأنَّها
سحابةٌ صَيْفٌ عن قريبٍ تَقْشَعُ

اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستُعِمِلَ ابن شُبْرُمَةَ
بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مرَّ
بك طارق في موكبه وقلتَ ما قلتَ ؟ فقال : يا بُنَيَّ ،
إنهم يحدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك . إنَّ
أباك أكل من حلوائهم وخطَّ في أهوائهم . فهل
تُبَيِّنُني بمغزى هذا الحديث ؟ .

قال الأستاذُ الشَّيْخ لتلميذه الفَقِي : مغزاه . يسيرٌ كُلُّ

الْيُسْر؛ فَقَدْ كَانَ ابْنُ شُبْرُمَةَ كغیره من أخیار الناس
الذین لا تطیب أنفسهم عن متاع الدنیا؛ فعارض
السلطان لأنه كان طامعاً فی بعض ما عنده، فلما ولى
القضاء رضى على السلطان وسخط على نفسه: رضى
على السلطان لأنه ولّاه، وسخط على نفسه لأنه لم
يستطع أن یصبر على الحرمان.

ورحم الله ابن شُبْرُمَةَ! فقد كان له من الشجاعة
حفظاً حسن حین اعترف لابنه بأنه أكل من حلوائهم
وحط فی أهوائهم؛ لأنه إن لم یتجلب لهم حین دَعَوَهُ
وجدوا غیره ممن یتلى القضاء مكانه، أما هو فلن یجد
غیر السلطان قوة تولیه القضاء.

فوازن یا بنی بین شجاعة عمرو بن عُبَیدِ الذی
أیأس نفسه من السلطان فانتهی بمعارضته إلى غایتها،
وشجاعة ابن شُبْرُمَةَ الذی أطمع نفسه فیما عند السلطان،
فانتهی بشجاعته إلى أن تَنَثَّلَ بیتاً من الشعر.

معارضة

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان
يطلب بالجلء السريع متى وضعت الحرب أوزارها
إلى أوربا ! .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : إلى أن يلي الحكم أو
يُشارك فيه .

معارضة

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : وثب فلان أمس من
أقصى اليمين إلى أقصى الشمال .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : يتأس من رضا الحكام
فابتغى رضا الشعب .

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ألم يكن يقال لا معنى
لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : فإن مُدَّتْ له أسباب
الحياة ودعاه الأمل إلى يمين ، فوثبة أخرى ترُدُّه من
رضا الحكام إلى ما يريد ما دام الإنسان قادراً على
أن يذهب ويحىء فلا جناح عليه في أن يذهب ويحىء .
قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : والمبدأ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : المبدأ وسيلة لا غاية .

وصف

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إني أقرأ في كتاب
الكامل للمُبَرَّد أن النبي (صلم) قال للأنصار في حديث
جرىء « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلُّون عند الطمع »
فما أدرى أى الأمرين أبلغ أثراً في النفس : أخلاق
الأنصار هذه أم وصف النبي لها !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : كلاهما رائعٌ يملأ
النفس إعجاباً وحباً . ولكن خلفَ بعد الأنصار خلفٌ
يكثرون عند الطمع ، ويقلُّون عند الفزع ، وانظر حولك
فسترى ما يملأ النفوس من ذلك روعةً ورَوْعاً .

عقوق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا تحدّثني عن سِنِمَار
هذا الذي كثر الحديث عنه في هذه الأيام مَنْ هو ؟
وما شأنه ؟ وفيم يُكثِرُ الناس عنه الحديث ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : « زعموا يا بنيّ أنه رجلٌ
روميٌّ بَنَى لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ قَصْرًا أو قصرين لا أدري ،
فلما أتمَّ عمله على أحسن وجه وأكمله ، رضى النعمان عنه ،
ولكنه أشفق أن يبني لغيره من الملوك مثل ما بنى له ،
فأمر به فأُلقي من أعلى القصر فاندقت عنقه فمات . والناس
يضربونه مثلاً لمن يقدّم إلى الناس خيراً وإحساناً
فيجزونه بالشرّ والمساءة . ولكن في الدنيا أفراداً كثيرين
يمكن أن يسمّى كل واحد منهم سِنِمَار ، ولكنه يُلقَى من
حالقٍ فلا تندقّ عنقه ، ويساق إليه الشر فلا يؤذيه ،
ويُكاد له الكيدُ فلا يبلغ منه شيئاً ، تستطيع أن تسميه
سِنِمَار الخالد ؛ لأنه لا يبني لأصحاب السطوة والبأس ،

وإنما يبنى للشعوب ، ولأنه لا يبنى للشعوب دوراً
ولا قصوراً ولا شيئاً من هذه الآثار التي يَبْلُغُهَا الْبَلَى
ويُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ ، وإنما يبنى لها فناً وأدباً وفلسفةً وعلماً
وإصلاحاً . ألا تذكر مصارع النابغين من الأدباء والعلماء
والفلاسفة ؟ ألا ترى أنك لا تزال تستمتع بآثارهم ؟ » .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وسيستمتع الناس بعدنا
بآثارهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فن

قال شهریار ذات یوم لزوجه شهرزاد : تعلمین انّی لم أفهم
بعدُ لماذا قَطَعْتَ عَنی قِصَصَکَ الجمیل !

قالت شهرزاد : لأمرین یسیرین ، أحدهما أنّی أخذت فی
هذا القصص لأَحْقِنَ دمی وأَعصمَ نفسی من الموت ،
وأَصْرِفُکَ عن سفک الدماء ، وقد بلغتُ من هذا کله
ما أريد . الثانی أن الجهد الفنی ممتعٌ حقًّا إذا نشأ عن
الرغبة والاختیار ، بَغِیضٍ حقًّا إذا نشأ عن الرهبة
والإکراه . وقد أخذت نفسی بما تکره مادعت إلى
ذلك الضرورة . وقد آن لی أن آخذ بحظی من الحرية ،
فلا أقصّ إلا حین أريد أنا ، لا حین تريد أنت ،
ولا حین تريد الظروف .

خـصـام

قال شهریار ذات يوم لزوجہ شهرزاد : تعلمين أنك مخطئة
حين تُقَدِّرِينَ أني سَأَلْتُ عن سفك الدماء ، وأنتك
مخطئة حين تظنَّين أنك حَقَقْتِ دمك فلا يراق ،
وعصمت نفسك فلن تُزْهَقَ ؛ وإني لأحسَّ شيئاً
من الظماً إلى الدم ، وأخشى أن يكون دمك أول
ما يُروى ظمئى .

قالت شهرزاد : إن كنت إنما تخوِّفنى بذلك لأعاود
القصص ، فلن تبلغ مما ترد شيئاً ؛ لأن الخوف إن
أنتج الفن مرة فلن ينتجه مرتين وإن كنت جاداً فى
هذا النذير فَرَوْ ظمأك وانقَع غُلَّتْكَ ؛ فلن يدلَّ هذا
إلا على أن علمتكَ أعضل من أن يشفيها الفن . ولست
أكره أن يكون دمي أول ما يُروى ظمأك ؛ فقد تجد

من الندم ما يشفى هذه العلة التي عجز الفن عن
شفائها . وأنت بعد مُخَيَّر بين أن تصبر على هذا
الظماً البغيض فتصبر على ما تكره ، وبين أن تنقَع
هذه العلة فتضطرَّ بنيك إلى اليتم وتُظْمِهم
إلى دمك .

قال شهریار : فإن قتلتك وقتلت بنيك أيضاً ؟
قالت شهرزاد : إذاً تصبر على الشكل حتى تلتمس
الرئی لظمتك في دمك ، فتُعْمِدَ في صدرك الخنجر
الذي تريد أن تُعْمِده في صدورنا .

قال شهریار وقد ظهر عليه روع شديد : حِجْرًا محجورا .

موعظة

قالت شهرزاد ذات يوم لزوجها شهریار : تعلم أنني لم أفهم بعد لماذا لم تكتف بالانتقام من زوجك التي خانتك ، فأردت أن تنتقم من النساء جميعاً .

قال شهریار : « إنها الفتنة ! واقرنى إن شئت قول الله عز وجل :

« وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً » .

قالت شهرزاد : ليتك قرأت هذه الآية وتدبرتها قبل أن تقترب ما اقترفت من آثام !

قال شهریار : لقد تغيرت وصرت إلى حال لم أكن أرتقبها منك . قد كنت تسليتنى بالقصص ،

وتلهيذني بملو الحديث ؛ فأنت الآن تُحاسبيني على
ما قدّمت وتؤنّبيني بالوعظ المرّ .

قالت شهرزاد : لأن السلو عن الإثم لا يكفي لمحوه ،
وإنما الندم وحده هو الذي يطهرّ القلوب ويهيئ
النفوس للتوبة النصوح .

تَجَنَّبْ

تلقَّاهم من المدارس الثانوية لا يحسنون شيئاً ،
فتعهدهم حتى أحسنوا أشياء كثيرة ، وحتى ظفروا
بما يظفر به الشباب الممتازون في الحياة الجامعية من
درجات وألقاب .

ثم تعهدهم حتى اطمأنوا في الحياة إلى ما يحبون .
وكانوا لهذا كله ذاكرين شاكرين ، وكانوا من
هذا كله متزيدين ، حتى لم يجدوا سبيلاً للمزيد . ثم
ازور عنه السلطان فازوروا عنه ، وقالوا : جفوتنا حين
كان يحسن أن تصلنا .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أعرف أنهم لقوا
منك جفاءً أو إعراضاً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : « ليس المهم أن تعرف
أو لا تعرف ، وإنما المهم أن تعلم أن كلمات التجني
والتعلل والتكلف لم توضع في اللغة عبثاً ، وإنما وُضعت
لتدلّ على معانٍ . والمعاني لا تقوم بأنفسها ، وإنما
تقوم بأنفس الناس . »

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : « أليس قد علمنا
المعلمون في الكتاتيب أن الإمام الشافعي كان يقول
من علمني حرفاً صرْتُ له عبداً ! »

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : « بلى ! ولكن الحياة
قد علمتنا أن الضرورات تبيح المحظورات . ومن
المحظورات أن تجفوا من جفاه السلطان ؛ فقد تصدّك
صلته عن بعض ما تحب ، وتصرف عنك بعض
ما تتمنى . »

نعمة مضيعة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لم تتقدم بي السن
بعد ، ولكني أرى الناس بين رجلين : أحدهما يُحسِن
ويُدِلّ بإحسانه على الناس ، والآخر يتلقّى الإحسان
ويجحد حقاً من أهده إياه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : : نعم ! وتضيع النعمة
بين مانّ بها وكافر لها .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فما تُحبّ لي أن
أكون من ذلك ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : مكان مَنْ إذا أحسن
نسي إحسانه ، وإن أُهدى إليه الإحسان لم ينسَ
أنّ عليه ديناً يجب أن يؤدّى . والخير أن تدبّر
والأ تَدان .

غرور

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وإني أقرأ في كتاب
عيون الأخبار لابن قتيبة : ولي عبد الرحمن بن الضحاك
ابن قيس المدينة سنتين ، فأحسن السيرة ، وعفّ عن
أموال الناس ، ثم عُزل ، فاجتمعوا إليه ، فأنشد
لدراج الضبابي :

فَلَا السَّجْنُ أَبْكَانِي وَلَا الْقَيْدُ شَفَّنِي
وَلَا أَنَّنِي مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
وَلَكِنْ أَقْوَامًا وَرَأَى أَخَافُهُمْ
إِذَا مِتُّ أَنْ يُعْطُوا الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ

ثم قال : والله ما أسِفْتُ على هذه الولاية ، ولكنني
أخشى أن يلى هذه الوجوه من لا يراعى لها حقها . فما
تأويل هذا الكلام ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كلامٌ يقوله كل من
كان يلي أمراً ثم عُزل عنه . فكل الناس يرى أنه أقدر
من غيره على تدبير الأمور . وعسى أن يكون عبد الرحمن
ابن قيس صادقاً . ولكن تتبّع الآن مَنْ يُؤَلَّوْنَ وَيُعَزَّلُونَ
فستسمع منهم مثل مقالة عبد الرحمن بن قيس .

عُرُور

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أقرأت كتاب فلان
إنه ينبئنا بأنه استردَّ حرَّيته ليملاً الأرض حباً وسلاماً ،
بعد أن ملئت بغضاً وخصاماً ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : نعم ! وقد صدق
المُتَنَبِّي حين قال :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ
رَأَى غَيْرَهُ فِيهِ مَا لَا يَرَى .

غرور

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إذا صُرِفَ فلانٌ عن
السلطان لم يُرَ إِلَّا حزينًا بائسًا ، فإذا رُدَّ إليه لم يُرَ
إِلَّا سعيدًا موفورًا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لأنه يرى نفسه حاكمًا
بالطبع ، ولم يقرأ قولَ الله عزَّ وجلَّ :

« مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ » .

وجوم

مال إلى صاحب يسألني : أقرأت هذا الفصل ؟

قلت : نعم ! .

قال : مَنْ كاتبه ؟

قلت : لا أدري ؛ لأنه لم يُعْلِنِ اسمَه .

قال : ومع ذلك فقد رضى أن يوصف بهذه

الأوصاف التي تتملق الغرور .

قلت : ذلك شأنه .

قال صاحب لنا : ماذا يُسرُّ أحدكما إلى صاحبه ؟

قلت : لا يُسرُّ أحدٌ منا إلى صاحبه شيئاً .

قال صاحبي : إنما نتحدث عن هذا الفصل الذي كتبه

كاتب يوصف بالامتنياز ، ولكنه لا يسمّي نفسه ، ولا

يسمّيه ناشر هذا الفصل .

وأخذت الجماعة كلها تعبت بهذا الكاتب الذي
امتاز في رأى نفسه وفي رأى ناشره ، ولكنه لم يجد
الشجاعة على أن يسمي نفسه ، ولم يجد ناشره
الشجاعة على أن يسميه . ولم يكن الفصل سياسة
ولا شيئاً مما يخاف ، وإنما كان أدباً أو شيئاً
يشبه الأدب . فلما ملأت الجماعة أفواهها بنقد هذا
الكاتب وعيبه والاستهزاء به والنقي عليه ، تبين لها
أنه قد يكون جالساً بينها . هنالك سقط في أيدي
القوم ، وأدركهم وجوم كاد يطول لولا أن صاحب
المجلس قال : سبحان الله !

فتفرق القوم ، ومنهم من يستحي ، ومن لا حظ
له من حياء .

تضليل

لم أرَ قطُ شيئاً أجهَلَ ولا أشدَّ روعةً مما رأيت
اليوم : رأيت نفراً عُرِفوا بذكاء القلوب ، ورجاحة
الأحلام ، وامتنياز العقول ، قد كذبوا على الناس فلم
يُصدِّقهم أحد ، ولكنهم ألحوا في الكذب حتى
صدَّقوا أنفسهم ، ثم خدعوها بالغرور والأوهام ، ثم
ابتهجوا بهذا الانخداع ، فكانت وجوههم مشرقة
وثغورهم باسمه ، وألسنتهم منطلقة ، بما يصور النصر
المؤزَّر ، والفوز المبين وكان الناس الذين لم يؤمنوا
لهم ولم يصدِّقوهم يضحكون من هؤلاء الأساتذة
المحنكين الذين أرادوا أن يُضِلُّوا غيرهم فأضلُّوا أنفسهم .

قطط

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لي صديق يحب القطط
ويطيل عشرتها ، وأكاد أعتقد أنه اكتسب من
أخلاقها شيئاً غير قليل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإن عشرة الحيوان للناس
تعلمه الأنس بعد التوحش ، وتكسبه غير قليل من
خصال الحضارة . فما يمنع أن يتأثر الناس بالحيوان كما
يتأثر الحيوان بالناس ! وقد قال الشاعر القديم :

« عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ »

فإذا كان القرين قطاً فأحرى أن يكتسب المرء
أخلاق القطط .

قصور

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : أليس عجيبيًا أن
تَحْدُثَ الحوادث ، وتُتَلَمَّ الكوارث ، ويصطرع العالمُ
هذا الصراع العنيف ، ونحن مَعْنِيون بصغائر الأمور ؟
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : فإنَّ المتنبِّي لم يُخْطِءَ
حين قال :

على قَدَرِ أَهْلِ العزمِ تَأْتِي العزائمُ
ولو استطعنا أَكْثَرَ من ذلك لَفَعَلْنَا

تكریم

قال الطالب الفقی لأستاذہ الشیخ : کیف تجتمع الصفوة
المتأزة من المُثَقِّفین لتکریم کاتب یُحسِّن الخطَّ
أکثر مما یُحسن الصواب ؟ .

قال الأستاذ الشیخ لتلميذہ الفقی : لأن هذه الصفوة
تکرِّم اسمَ شخص تعرفه لامؤلف کتاب لم
تقرأه .

غِيْبَةٌ

قال أحد الأدباء لبعض زملائه : ألا تعجبون لفلان هذا
الذي صار صديقًا للناس جميعًا !

قال أحد الزملاء : أخشى ألا يكون صديقًا لأحد
لأن رضا الناس جميعًا شيء لا ينال .

قال الآخر : أخشى أن يكون عدوًّا للناس جميعًا
وَألا تكون صداقته إلا لونا من المداراة والرياء .

قال ثالث : أخشى ألا يكون صديقًا إلا لنفسه ،
يحتمل في إرضائها كل مشقة ويتكلف فيه كل عناء ،
ومن ذلك تودده لمن يسيغ ومن لا يسيغ من الناس .

وكنت حاضر هذا المجلس ، فلما سئلت في ذلك
تلوت قول الله عز وجل :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ
بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ . »

ظلم

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما حديث سمعته
منك صباح اليوم ، فلم أفهم منه شيئاً ! .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما ذاك ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : سمعتك تتحدث عن
الظلم المرّ ، والظلم الحلو ، والظلم الذي يجمع بين
الحلاوة والمرارة ، فلم أفهم عنك .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإنّ الظلم مرّ في
قلب المظلوم حين يمسه ، حلوّ في قلب الظالم حين
يصدر منه ، وهو حلوّ ومرّ في قلوب العاشقين حين
يتقارضون الظلم ويجنّئ بعضهم على بعض جنائيات
الغرام

رجوع

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم يكن فلان شريك
فلان فيما نقض وما أبرم من هذا الأمر ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بلى ! وكان يلتهب
حماسة لما شارك فيه من نقض وإبرام .

وبال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فما باله الآن يُبرم
ما كان نقض ، وينقض ما كان أبرم ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي ، لأن للضرورات
أحكامها ، ولأن الرجوع إلى الباطل أنفع وأجدى من
التمادي في الحق

رعية

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : قرأت في بعض الكتب أن المنصور قال لبعض قواده : صدق الذي قال : أَجِيعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ ، وَسَمَنَهُ يَا كَلْك . فقال له أبو العباس الطوسي : أما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعته أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : عفا الله عن المنصور وجليسه ! فقد شبهها الناس بالكلاب ، والله عز وجل يقول :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ
مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا . »

رعية

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : لو أن المنصور الذى
ضرب الكلب مثلاً لرعيته وضع الأسد موضع
الكلب ، فكيف كان يقول ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : كان يقول أجمع
أسدك يا كلك ، وكان ذلك أحرى أن يغير رأيه فى
الرعية وسياسته لها ، فيقيم الأمر بينه وبين المسامين
على الهيبة والحب ، لا على الازدراء والإغراء .

رعية

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : لو أن المنصور الذى
ضرب الكلب مثلاً لرعيته لم يُشَبَّه رعيته بالكلاب
ولا بالأسود ، وإنما أخذها كما خلقها الله ناساً من
الناس ، فكيف كان يقول ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : كان يقول : أَنْصِفْ
شَعْبَكَ يُحِبِّبَكَ .

رعية

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : كيف يُسمَّى الشعبُ
رعيةً وقد أصبح مصدرَ السلطات بنص الدستور ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هو رعية نفسه بعد
أن صار السلطان إليه . وما أكثر الكلمات العتيقة
التي تَفْقِدُ معانيها الأولى وتستبقىها الشعوب مع ذلك
لتدل بها على معانٍ جديدة ، فينشأ عن ذلك كثير
من التخليط ! .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وتصدَّق أن الشعب
يعتقد أنه سيّد نفسه ، وأنه مصدر السلطات وأنه
بذلك هو الراعي ، وهو الرعية ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بذلك يحدّثه الدستور ،
وهو إن لم يصدَّق الدستورَ اليوم ، فقد يصدّقه غدا .

رمز

قال شهریار ذات یوم لزوجه شهرزاد : ألم تقرئی کلیلة ودمنة؟

قالت شهرزاد : یلی ! قد قرأته وقرأته .

قال شهریار : فلم لم تذهبی فی بعض قصصک من

الرمز والإشارة مذهب یبدبأ الفیلسوف ؟

قالت شهرزاد : لأنک لم تذهب فی التماس القصص

مذهب دبشلیم المملک ، کان یطلب الحکمة یغذو بها قلبه

وعقله ، فأدّی إلیه فیلسوفه من ذلك ما أراد . وکنت

غارقاً فی بحر من الدم ، فاستنقذتک من هذا الفرق بما

وجدت من وسائل الإنقاذ . ولو أنى انتظرت حتى أبرم

لإنقاذک أسباباً من الحریر لکان من الممكن أن تذهب

بک أمواج الدم ، وأن ألتمسک فلا أجد إلیک سبیلاً .

غيرة

قال أحد الأدباء لبعض أصحابه : أتدري لم مات فلان ؟

قال صاحبه : لا !

قال الأديب : زعموا أن فلاناً غلبه على قلب من أحب.

ثم مضت أسابيع والتقى الصديقان ، وهم أحدهما أن
يقول لصاحبه شيئاً ، ولكنه أمسك عن القول لأنه
ذكر أن الغيرة قد تقتل الناس أحياناً .

مجنون

ما زالت امرأته تُظهر له الغيرة حتى أغرته بالإثم
فتورط فيه . وما زال هو يلوم ابنه على العيب حتى دفعه
إليه . وما زال ابنه ينهى صاحبه عن عشرة خليله السوء
حتى اتخذها له زوجاً . أليس من الخير أن يتدبر الناس
مجنون أبي نُوَاس حين قال :

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ

فَرُبَّ مَجْنُونٍ أَدْنَى إِلَى الْمَوْعِظَةِ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ .

تلطف

سنت : أي المصريين أحبُّ إليها وآثرُ عندها
وأحقُّ بإعجابها ؟ فسَمَّت قومًا وأثنت عليهم بما عسى أن
يكونوا أهلاً له . ولو قد زارت مصر في وقت آخر وألقيَ
عليها السؤال نفسه لَسَمَّت قومًا آخرين وأثنت عليهم
بما عسى أن يكونوا أهلاً له . فهي لا تثني على أولئك
وهؤلاء ، وإنما تتلطفُ للسلطان . فأحرى ألا تُلقَى مثل
هذه الأسئلة على الأجانب . لولا أن حاجة المصريين
والضعفاء منهم خاصة إلى الثناء تكلفهم وتكلف
غيرهم شططا .

هجرة

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : عرض علينا
« جوفينال » عرضاً رائعاً الأسباب التى دفعته إلى
الرحيل عن روما ، وكلها يرجع إلى فساد الحياة العقلية
والاقتصادية ، وإلى بطر الأغنياء ، وبؤس الفقراء ،
واضطراب الأمن . ألا ترى أننا فى حاجة إلى جوفينال
يفصل لنا الأسباب التى تدفعنا إلى ترك القاهرة ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : تريد أن تقول
الأسباب التى تدفعنا إلى ترك مصر ؟ ولو قد ذهبت إلى
غير مصر من أقطار الأرض لاحتجت إلى جوفينال ،
يفصل لك الأسباب التى تدفعك إلى تركه

فأقنع بما قسمَ المليكُ فإنما
قسمَ الخلاقَ بيننا علامها

كما يقول لييد : وإذا احتجت إلى جوفينال ليفصل
لك أسباب الهجرة التي تشعر بالحاجة إليها فأنشد قول
أبي العلاء :

وهل يَأْبَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ
فَيَخْرُجَ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وَسَمَاءُ

هجرة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم يقل شاعر قديم :

وفي الأرض منأى للسكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلي متعزل

أولم يقل شاعر آخر :

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

أولم يقل بشّار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها
خرجت مع البازي على سواد

أولم يقل المتنبي :

ما مقامى بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة - تداركها الله
ه - غريب كصالح في ثمود

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنك لكثير الرواية
منذ اليوم ، فما ذاك ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ذاك أن إقامة الرجل
الكريم على الضيم الذي لا يرضاه لا تعجبنى .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإن كان الرجل
الكريم يحب وطنه ويؤثر الجهد والعناء فيه على الراحة
والرضا في غيره من الأوطان ؟ واقراً إن شئت قول
الشاعر القديم :

لَعَمْرِي لِقَوْمُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بِقِيَّةٍ
عليه وإن عالوا به كلَّ مَرٍّ كَبِ
من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى
كثير ، ولم يخبرك مثلُ مجربٍ

تصوير

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : لا أعرف شيئاً أْبْرَعَ ،
ولا أْبْلَغَ ، ولا أَدَقَّ فى تصوير بؤس البائسين ،
وثرء المُثْرين ، والتفاوت المخزى بين الطبقات من
هجاء « چوقينال » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : ألا أدلك على شىء
هو أْبْرَعُ ، وأْبْلَغُ ، وأَدَقُّ تصويراً لذلك من هجاء
« چوفينال » ! أنظرُ إلى حياة المصريين .

رقی

قال الطالب الفی لأستاذہ الشیخ : ما بالُ عَظَائِمِ الْأُمُورِ
تُسْنَدُ إِلَى قَوْمٍ لَا یَعْقِلُونَهَا ، وَلَا یَقْدِرُونَ عَلَى
النَّهْوِضِ بِهَا ، وَلَا بِأَيِّسِ مِنْهَا ؟

قال الأستاذ الشیخ لتلميذہ الفی : لأنَّ السِّیَاسَةَ كَالطَّبِیْعَةِ
لَهَا حِکْمَةٌ لَمْ تَسْتَطِعْ عَقُولُ النَّاسِ أَنْ تَفْهَمَ حَقَائِقَهَا بَعْدُ ..

رقی

قال الطالب الفقی لأستاذہ الشیخ : ما بالُ الذین تُعْجِزُهُمْ
صغائرُ الأعمالِ یُکافُونَ النهوضَ بعظائمِ الأمورِ ؟

قال الأستاذ الشیخ لتلميذہ الفقی : لأنهم خُلِقُوا للعِظائمِ ،
وخلِقَ غیرُهم للأمورِ الیسیرة .

رقى

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : أعرف قوماً يُكَلِّفُونَ
يَسِيرَ الْأَمْرِ فَيُخَفِّقُونَ ، وَيَرْقَى بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يُكَلِّفُوا
جَلِيلَ الْأَمْرِ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : هؤلاء قومٌ يَرْقَى بِهِمْ
الْعَجْزُ حِينَ يَقْعُدُ بِهِمُ الْإِعْجَازُ .

رقى

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : يقول الطُّغْرَانِيُّ فى

لامِيَّتِهِ المشهورة :

أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ أُسْتَعِينُ بِهَا
على قضاء حقوقِ الْعُلَا قَبْلِ
فما عسى أن تكون هذه الحقوق التى لا يستطيع
صاحبُها أن يؤدِّيها إلى العِلا إلا أن يكون كثيرَ المال ،
عظيمَ الثراء ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : إنها تختلف باختلاف
المزاج ؛ فمن الناس من يرى أن من حق العِلا عليه أن
يُطْعِمَ الجائع ، ويكسوَ العارى ، ويُروى الظمآن ،
ويعلمَ الجاهل ، ويُعين المريض على التماس الطبِّ لِعَلَّتِهِ .
ومن الناس من يرى أن من حق العِلا عليه أن يَغْشَى
حاناتِ اللَّهْوِ ، وأندية القمار . وهؤلاء آخرى أن يكثرُوا ،
وأَجْدَرُ أن يَظْفَرُوا من العِلا بما يريدون .

رقى

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : ألم نكن نُلقَنُ في
نَضْرَةِ الصَّبَا أن من طلب العَلا سَهَرَ اللَّيَالِي ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : ذلك حين تكون العَلا
غالية بعيدة المَنَال . فأمَّا حين ترُخَصُ فإنها تُنال بأيسر
من سَهَرِ اللَّيَالِي .

قال الطالب الفقى : وما ذاك ؟

قال الأستاذ الشيخ : إسداء الشَّاء إلى غير الأَكفاء ،
وإهداء الهِجَاء إلى ذوى الغِنَاء ، وقذفُ المُحْصَنَاتِ
والخوضُ في الأعراض بغير الحق ، وجفوةُ الصديق ،
وخيانة الخليل .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : وترى ذلك ثَمَنًا يسيرًا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أيسر من الرمل على
ساحل البحر ، ومن الماء على شاطئ النيل .

تعريض

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إلامَ أراد المُتَنَبِّي
حين قال :

إذا كان بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ
ففي النَّاسِ بُؤُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُؤُلٌ ؟
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : إنما أراد إلى أن
« سيف الدولة » كان خليفًا باسمه ؛ لأنه كان يحمي
ثُغُورَ المُسَلِّمِينَ من عُدُوانِ الرُّومِ ، على حين كان قومٌ
آخرون في بَغْدَادَ يَتَكَثَّرُونَ بِمَا لَا غِنَاءَ فِيهِ وَلَا طَائِلَ
تَحْتَهُ : من هذه المَوَاقِبِ الفَخْمَةِ التي كانت تَزْخُرُ
بِهَا عَاصِمَةُ الخِلاَفَةِ .

ضحك

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ألا يَغِيظُكَ قول
المتنبي فينا :

يا أُمَّة ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : وما يَغِيظُنِي مِنْ
ذلك ؟ ! أسخط كافورُ المتنبي ، فقال شرَّ ما عِلِمَ ،
أرضاه فقال خيرَ ما عِلِمَ . وصدق رسولُ الله :
« إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لَحِكْمًا » .

ضحك

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : أحق أن الأمم
ضحككت من جهلنا قديماً كما يقول المتنبي ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : كما ضحكنا وكما
لا نزال نضحك من جهل أمم غيرنا .

انتصار

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما الذي يُعجبُ الناسَ

من قول المتنبي :

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ
طَلَبَ الطَّغْنَ وَحَدَهُ وَالزَّالَا

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : يُعجبهم منه يا بُنَيَّ

أنه يعرض صورة رائعة في دقتها وصدقها وإيجازها
لحقيقة إنسانية خالدة ، وهي أن شجاعة كثير من
الشُّجعان ، وانتصار كثير من المتصرين ، وتفوق كثير
من المتفوقين ليست إلا تكثراً وغروراً . فإذا جاء
الخوف قلَّ الشجاع ونذر الانتصار ، وأصبح التفوق
أمنية لا تُنال إلا في عسر شديد . وليتك تقرأ قصة
« دون كيشوت » للكاتب الأسباني « سرفنتس » ،
قصة « تارتاران دي ترسكون » للكاتب الفرنسي

« ألفونس دوديه » لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذِينَ الْكَاتِبِينَ الْعَظِيمِينَ

لَمْ يَزِيدَا عَلَى أَنْ شَرَحَا قَوْلَ الْمُتَبَيِّنِ :

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ
طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنَّزَالَ

ذوق

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : أليس مما يُعْجِب
ويروق أن تُعزَفَ مُوسِيقى « موزار » و « بهوفن »
ترويحاً للرفق بالحيوان ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وأى غرابة فى ذلك
وموسيقى « موزار » و « بهوفن » تُعزَفُ ترويحاً
للرفق بالبائسين من الناس ! وهل تختلف طبيعة
البؤس حين يُلمَمَ بالإنسان أو بالحيوان !!

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : فإنى أرى فى هذا
العطف رَفْعاً للحيوان إلى منزلة الإنسان

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وأنا أرى فيه نُزُولاً
بالإنسان إلى مرتبة الحيوان . ومَدَارُ الأمر كله
على الذوق .

رفق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم أعلم أن الحكومة
قد أصبحت أرأف بالحيوان من أبي العلاء ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ماذا تقول ! أترأها
حرمت ذبحه وأكله ، وحفظت اللبن على البقر والشاء ،
والبيض على الدجاج ، والعسل على النحل ؟ !

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لا ! ولكنها أذنت
فأقيمت ليلة موسيقية ساهرة لمعونة الذين يرفقون
بالحيوان

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لو خير الحيوان لاختار
الحياة والعافية على الموسيقى والرقص .

إِشَار

قال بعض الولاة لبعض جلسائه : إِنِّغْنِي رَجُلٌ صِدْقٍ
أَرْكُنُ إِلَيْهِ فِيمَا يَعْينُنِي مِنَ الْأَمْرِ .

قال جليسه : وَأَيْنَ أَنْتَ — أَصْلَحَكَ اللَّهُ — مِنْ فُلَانٍ !
فإنه رَجُلٌ صِدْقٍ ، وَرَجُلٌ حَزْمٍ ، وَرَجُلٌ عَزْمٍ ،
وَرَجُلٌ عَدْلٍ .

قال الوالي : عَدٌّ عَنْهُ ؛ فَإِنِّي أُؤَثِّرُ بِهِ نَفْسِي ، وَأَرْكُنُ
إِلَيْهِ فِي خَاصَّةِ أَمْرِي . وَبَلَغَ الْحَدِيثُ فُلَانًا هَذَا ، فَقَالَ :
وَإِذَا تَكُونُ كُرْهِيَّةً أَدْعَى لَهَا
وَإِذَا يُحَاسُّ الْحَيِّسُ يُدْعَى جُنْدُبُ

وكان معه صديق فقال : إِلَى أَيِّ حَدٍّ يَسْتَقِيمُ لِلْوَالِي
أَنْ يُؤَثِّرَ نَفْسَهُ بِكَ مِنْ دُونِ الْمَدِينَةِ ؟

قال فلان : أَلَيْسَ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْمَدِينَةِ ! !

نفع

قال أحد الأدباء لأحد اصحابه : لقد قطع فلان أسباب
المودة بينه وبين ذوى معرفته جميعاً إلا واحداً منهم .

قال له صاحبه : لعله ينتظر منه نفعاً ، فهو يستبقيه
حتى يبلغ آخر ما عنده ، ثم يُلْحِقْه بغيره من الناس .

كفاية

قال أحد الوزراء لبعض ثقاته : إني أريد أن أُولَّى فلانًا
بعض العمل .

قال له صاحبه : نعم ! بشرط أن تُنْصِبَهُ عندك وتُبيح
له أن يستخلف على عمله مَنْ يستطيع أن ينهض به .
قال الوزير : وكيف كان ذلك ؟

قال صاحبه : لأن فلانًا يُحْسِنُ الانتفاع ، ولا يُحْسِنُ
النفع

رق

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : أَلَا تُفَسِّرُ لى هذا
الصِّراع الذى نحن فيه منذ أعوام طويلة ، والذى
يُفْسِدُ علينا أمورنا كلها ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وماذا تريد أن أُفسِّرَ
لك ! إنه الصراعُ بين الحرية التى تريد أن يكون
جنودها أبطالاً ، والمنفعة التى تُريد أن يكون
جنودها أرقاء .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : ومن أجل ذلك قلَّ
أبطال الحرية وكثُر طلاب المنفعة ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : هو ذاك ! .

رسالة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا تُنبئني عن كلمة
« الرسالة » هذه التي يلوّكها كل إنسان حين يريد أن
يعبر عن المهمة ؛ فلكاتب رسالة ، وللشاعر رسالة ،
وللعالم رسالة ، ولصاحب السياسة رسالة أيضا . وما
أعرف أن اللغة تؤدّي بكلمة « الرسالة » هذا المعنى
الجديد ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هذه كلمة أذاعها في
لغتنا الحديثة مزاج من الجهل والغرور : الجهل باللغة
العربية ، والغرور الذي يخيّل إلى كل إنسان أنه نبي
قد أرسله الله برسالة يُعلّم بها الناس شيئا ، أو يُحدثُ
بها في الناس حدثا . وإذا اجتمع الجهل والغرور على
أمة ، دفعها إلى أكثر من الخطأ اللغوي واستعمال
الألفاظ في غير مواضعها .

ججود

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إني أقرأ في شعر
« كاتول » اللاتيني : « لا تعمل خيراً ، ولا تنتظر شُكراً .
فقد عمّ الجحود وأصبح الإحسان هباءً ؛ ماذا أقول !
بل أصبح ثقلاً ومصدرًا للضعيفة . لقد بلوت هذه
التجربة المرة حين رأيت أشد الناس حقداً عليّ
وبغضاً لي مَنْ كان يراني منذ حين مصدرَ نِعْمته
وحاميه الوحيد » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لم تتغير أخلاق الناس
منذ قال شاعرُك اللاتيني هذا الشعر ، ولكنه صاحبُ
عاجلةٍ لم يكن ينتظر من الآجلة شيئاً . أما نحن فقد
أدبنا الله أدباً آخر ، وقرأ إن شئت قوله عز وجل :
« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

استخارة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لن أشهد محاضرة
عامة بعد اليوم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : حجراً محجوراً ،
وما ذاك ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : سمعت اليوم محاضرة
لم أسمع قط أسخف منها ، ورحت إلى بيتي ضيقاً بما
سمعت . وأردت أن أخرج من هذا الضيق ، فلم أك
أنظر في أول كتاب وقعت عليه يدي وكان ديواناً
لشاعر لاتيني ، حتى رأيت يصور ضيق نفسه بهذه
القراءات الأدبية العامة التي كانت تمتلئ بها روما في
عصره . فقلت : إن الله قد خالني وآذني بأن من الحق
إضاعة الوقت في الاختلاف إلى المحاضرات .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : كان شاعرك اللاتيني
هَجَاءً ، وكان يَلْتَمِس لنفسه المعاذير لِمَا كان يطرق من
فن الهجاء . فأما أَنْت فطالب علم ، تستطيع أَنْ تختلف
إلى المحاضرات جيِّدها وردِّئها ممتازها وسخيفها ؛ فإنك
واجدٌ فيها بعض الفائدة ، تجدها فيما تسمع من المحاضر
أحياناً ، وفيما ترى من المستمعين دائماً .

معبد

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : لقد راقنى ما أرى من
سخرية الشاعر اللاتينى « جوفينال » حين يتحدث
إلى المال بأن من حقه أن يقام له معبد كتملك المعابد التى
أقيمت للسلم والشرف والفضيلة ؛ لأنَّ المال يتفوق على
هذه الخصال جميعاً . ما يمنع الناس أن يفكروا الآن فى
إقامة معبد للثراء ؟

قال الأستاذ الشيخ التلميذ الفقى : أخشى ألا يجد الناس
من الوقت ما يكفى لهذا التفكير فضلاً عن إقامة هذا
المعبد ؛ فإنى أرى الشعوب قد أخذت تكفر بالمال
وتخرج على سلطان الثراء .

وصف

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : كأنما كان الشاعر
اللاتيني « جوفينال » يصور عصرنا حين تحدّث عن
هذا الغني الذي تطيب نفسه عن مائة ألف درهم يُنفقها
في الميسر ، وييخل بقميص يقي خادمه ألم البرد .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ما دام في الأرض
سادة يملكون مئات الألوف ، وخدم لا يملكون
شيئا ، وفرص للهو يُنفق فيها المال ، فكل المعصور
واحدة وإن طال الزمن .

هجاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أى فنون الأدب
أحق أن يزدهر وينفق في هذا العصر الذي نحن فيه ؟
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لا أدري ! ولكننا في
عصر انتقال أشد فنون الأدب له ملائمة فن الهجاء .

رقابة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أَلَا تَعْجَبُ مَعِيَ بِقَوْلِ

الشاعر اللاتيني « چوئينال » :

« مَا أَرْفَقَ الرِّقَابَةَ بِالْغُرَبَانِ وَأَعْنَفَهَا عَلَى الْجَاهِلِ »

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إِنْ شَاعَرَكَ اللاتيني لَمْ

يُرَدُّ إِلَى رِقَابَةِ الْمَطْبُوعَاتِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ إِلَى رِقَابَةِ الْأَخْلَاقِ .

وَمَهْمَا يُرَدُّ فَهُوَ صَادِقٌ كُلُّ الصَّدَقِ .

خادم

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم يُدهشك ما قاله
أحد الوزراء لبعض الصحفيين من أنه مستعد للعمل في
أى وزارة ، كأنه الخادم يكلفه سيده ما يشاء فيقبل
غير متكره ولا متمنع ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما يدهشك من ذلك !
وإنما الوزير خادم الملك والشعب ، يضعانه حيث
يشاءان ، ويكلفانه ما يحبان .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ولكن الوزير من
زينة الدولة !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : والخادم الأنيق من
زينة البيت .

وعود

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : ألا يُعجبك قولُ الشاعر
اللاتينى « كقول » :

« إن خليلته تُقسِمُ له على أنها لن تحبَّ أحدًا سواه
ولو تقربَ إليها كبير الآلهة ، ولكنه برى وعود
الخليلات مكتوبة على أجنحة الريح المنطلقة في الجو ،
وعلى صفحات الموج الهائم في البحر المحبط » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : كما يُعجبني قول كعب
ابن زهير :

وما تمسَّكُ بالوعد الذى وعدتُ
إلا كما يُمسِكُ الماء الغرابيلُ
قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : وأى وعود الرجال
أشبهُ في ذلك بوعود النساء .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وعود الساسة حين
يطلبون النيابة عن الشعب ، أو النهوض بأعباء الحكم .

نزاهة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أَجْمَلَ هذه الصورةَ
التي أراها عند الشاعر اللاتيني « چوئينال » حيث يقول :
« ما أكثر ما تُمدَحُ النزاهة ، ولكنها على ذلك
ترتعد من البرد » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وقد مُدِحَت النزاهةُ
أثناء القرون منذ شاعرك اللاتيني ، ولم تُمدَحْ قط في
عصر من العصور كما تُمدَحُ في هذه الأيام ، ولكنها
على ذلك مقرورة ترتعد من البرد !

تخليط

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان يُخلطُ في كتابه عن حياة النبي (صلم) تخليطاً شديداً ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : عرض لما لا يُحسِنُ من الأمر ، وقال فيه بغير علم .

منفعة

كان يُبغضه أشدَّ البغض ، فأصبح يتهالك عليه
أشدَّ التهالك ، وكان فصيحاً كل الفصاحة في تعليل
ما أظهر وأضر من بغض ، وهو فصيح كل الفصاحة في
تعليل ما يظهر من تهالك وحب ، وهو يصدّق نفسه
في الموقفين جميعاً . ولكن الناس لا يصدّقونه ، وإنما
يؤمنون بأنه أبغض للمنفعة وأحب للمنفعة ، وبأن وحي
النفوس يكذب النفوس أحياناً . والغريب في هذا كله
أن الناس أعلم منه بدخيلة النفس وسرّ الضمير .

أخلاق

أقبلوا يواسون مَنْ صُرِفَ عنه الحكم، وكانوا جماعةً
ضخمة يكاد يمتنع فيها التنفس لولا أنها كانت تسمى
أو ترحف تحت السماء في الهواء الطلق وقد اكتظت
بها الشوارع والميادين، ووقفت لها حركة المدينة.

قال قائل لصاحبه : أليس فلان قد صُرِفَ عن الوزارة
أو صُرِفَتْ عنه الوزارة ، فما هذه الجماعة الضخمة ؟
وما هؤلاء الذين يسمعون إليه اليوم وكانوا لا يرونه أمس
ولن يروه غداً إلا نكثوا رءوسهم وغضُّوا أبصارهم ؟

قال صاحبه : صُرِفَ عنه الحكم اليوم وقد يُرَدُّ إليه
غداً ، وللناس آمال لا يحبُّون أن تنقطع ، وليس كل
الناس يحب رغبةً أو رهبة ؛ فقد يكون منهم من يحب
مخلصاً في الحب ، ومن يحامل أو يواسي مخلصاً في المجاملة
أو المواساة .

قال ثالث : ومن الناس من يُبغضك ولكنه
يواسيك ؛ لأنه يريد أن يظهر لنفسه أن رجولته أكبر
من البغض .

قال رابع : ومن الناس من لا يكبر في نفسه إلا
إذا أظهر نفسه للناس كبيراً بعض الشيء .

قال خامس : عجبت للذين يشيعون الجنائز
ويستطيعون أن يفكروا في شيء غير الموت .

كساد

قال أحد الصديقين لصديقه في بعض المحافل : أَلَا تَرَى إِلَى
فُلَانٍ يَلْحَظُ صَدِيقَهُ الْعَزِيزَ عَلَيْهِ ، الْأَثِيرَ عِنْدَهُ ، لِحَظًا
خَفِيًّا وَلَا يُحْيِيهِ !!

قال صاحبه : لِأَن رَأَيْتَهُ يَرْقُبُهُ مِنْ بَعِيدٍ .

قال الصديق : وَإِذَا ؟ .

قال صاحبه : وَإِذَا فَهُوَ يَتَّقِي مِنْ صَدِيقِهِ الْعَزِيزِ
عَلَيْهِ ، الْأَثِيرِ عِنْدَهُ ، بِرَحَابَةِ الصَّدْرِ ، وَيَخَافُ مِنْ رَأْيِهِ
ضَيْقُ الْخُلُقِ .

قال الصديق : وَالشَّجَاعَةُ ؟

قال صاحبه : قَدْ كَسَدَتْ سَوْقَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ .

عفة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أَجَلَ هذا البيت
الذي يُنسَب إلى عنقرة :

يُخَبِّرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي
أَغَشَى الْوَغَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمُغْنَمِ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنه جميل حقاً ولا سيما
حين يُنشرُ في هذه الأيام .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : في هذه الأيام !
كيف تقول ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أَلستَ قد تَعَلَّمتَ
في المدارس والجامعة أن الأشياءَ تتمايز بأضدادها ،
وأن شاعراً قديماً قد أنشد :

وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضُّدُّ

ثعالب

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما هذه النواطير التي

قصده إليها المتنبي في بيته الوقح :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها

فقد بشمن وما تفنى العناقيد

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ما زال الحق عنكم

وقبحاً وقائلاً مسرفاً في الجراءة . ولكن هذا لا يغير من

الحق شيئاً ؛ فقد نامت نواطير مصر عن ثعالبها ، وما

زالت هذه الثعالب تأكل وتشرب حتى يدركها البشم

فلا يزيد لها إلا نهماً ، كأن بطونها تلك الآنية التي أشارت

إليها الأساطير اليونانية والتي ليس إلى ملئها سبيل . فأما

النواطير فسئل المتنبي عما أراد بها . أما أنا فأفهم منها

الشعب ، وأظنك لا تنكر أن الشعب ما زال نائمًا .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لو نام الشعب لما

أَكَلَتِ الثَّعَالِبُ مَا يُقِيمُ أَوْدَهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَضْطَرَّهَا
إِلَى الْبَشَمِ . مَا زَالَ الشَّعْبُ يَكْدُّ وَيَكْدَحُ ، وَمَا أَعْرَفَ
أَنَّ النَّائِمَ يُحْسِنُ كَدًّا أَوْ كَدْحًا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فَقُلْ إِنَّ شَتَّى إِنْ
الشَّعْبُ يَقْظَانُ نَائِمٌ : يَقْظَانُ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ وَيَنْتِجُ ، وَنَائِمٌ
لِأَنَّهُ لَا يَحْمِي ثَمَارَ عَمَلِهِ مِنْ هَذِهِ الثَّعَالِبِ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْهَا
حَتَّى تَبْشَمَ ، فَلَا يَزِيدُهَا الْبَشَمُ إِلَّا نَهَمًا .

فرار

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : ما هذا البيت الذى سمعتك تُنشدّه حين فرغت من صحف الصباح :

تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ
وَنَجَّى بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : ألم تتعلّم فى المدارس الثانوية أنّه من شعر حسان يقوله فى الحارث بن هشام حين شهد بدرًا مع قُرَيْشٍ ، فلما دارت عليهم الدائرة فرّ وترك الأحبة صرعى لم يقاتل دونهم وفيهم أخوه أبوجهل عمرو بن هشام ! وانظر حولك فسترى الذين يفرّون عن الأحبة حين يحدّ الجدّ كثيرين ، يدفعهم إلى الفرار الرّغب حينًا ، والرّهب حينًا آخر .

كيد

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ما هذا البيت الذي
تُكثّر ترديدَه منذ اليوم :

وَكَيْبَةٍ لَبَسَتْهَا بَكَيْبَةٌ
حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدَيَّ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : هذا بيت قاله الفرّار
السّاميّ، وكان رجلاً يُعْرِى بالحرب، حتى إذا شبّ نارها
وأذكى أوارها، لاذ بالفرار وتغنّى ببراعته في الأمرين
جميعاً. وانظر حولك فسترى أن الذين يمكن أن تسميهم
بالفرّار السّاميّ كثيرون، ولكنهم يفرّون ويفرّون
ولا يتغنّون. تَبَلَّدَتْ قُلُوبُهُمْ فَلَا تُحْسِنُ، وانعقدت ألسنتهم
فلا تنطق، وَأُشْرِبَتْ نَفُوسُهُمْ حُبَّ الكيد الصّامت،
فهي تكيد ولكنها لا تقول.

كيد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما تأويل قول الشاعر :

إذا رامَ كيداً بالصلاةِ مُقيمُها
فتاركُها عمداً إلى الله أقربُ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : تأويله أن تارك الصلاة

عمداً يعصى الله معصيةً واحدةً ، وأن مقيم الصلاة كيداً
يعصى الله معاصي كثيرةً ؛ يريد أن يخدع الله والله
لا يُخدعُ . ويريد أن يخدع الناس ، وخداع الناس إثم .
ويريد أن يتخذ الله وسيلةً والله غاية الغايات ، وإليه
تُبْتَغَى الوسائل . فكيف به إذا اتخذ الله وسيلةً لأعراض
الدنيا وتضليل الناس ! صدق الشاعر :

إذا رامَ كيداً بالصلاةِ مُقيمُها
فتاركُها عمداً إلى الله أقربُ

صفح

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إني أقرأ في بعض ما يقول « نيتشه » أن كثيراً من الناس لا ينبغي أن تصافحهم بيد رفيقة ، وإنما تبسط إليهم يداً كبيرتين الأسد ، وأريد أن تكون فيها مخالب حادة . فمن عسى أن يكون هؤلاء الناس ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هم أكثر الذين تلقاهم مُصْبِحاً ومُتَسِيّاً ، فيلاحظونك بعيون ملوؤها الود ، وَيَسْمُونَ لك عن ثغور مشرقة رفيقة ومن ورائها الظلمة والعذاب ، وهم الذين يُحْسِنُونَ التودد إليك والتلطف لك ولا سيما حين تَحْدُثُ الأحداث وتُتَلِمُ الخطوب .

ولكن « نيتشه » يا بُنَيَّ صاحب قسوة وسطوة وعنف ، فاقراً إن شئت قول الله عز وجل : « وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » .

سخرية

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : قرأت فيما قرأت من
شعر « كاتول » مقطوعة يهيئ فيها نفسه للموت ، بل
يبحث فيها نفسه على الموت ؛ لأن فلاناً وفلاناً من
مواطنيه قد رقياً إلى منصب القنصل . فأعجبني ؛ سخريته
اللاذعة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كما أعجبني قول الشاعر

العربي :

تأهبوا لِلْحَدَثِ النَّازِلِ
وَدَ قَرِئَ الشَّعْرُ عَلَى كَامِلِ

تقدير

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال الناس يضطربون
للتولية والعزل في مصر أكثر مما يضطربون لهما في
البلاد الحرة الأخرى ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لأنهم ما يزالون قُدماء
العقل والشعور ، يرون في التولية نعمة وفي العقل نقمة ،
ويذكرون نكبة البرامكة وما يُشبهها من أحداث الدهر
القديم . فانتظر بهم حتى يذوقوا طعم الديمقراطية
الصحيحة ؛ فيومئذ سينظرون إلى التولية والعزل كما
ينظرون إلى الجو والمطر .

ابتسام

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أليس يُعْجِبُكَ قول

المتنبي :

ولمّا صار وُدّ النَّاسِ خُبّاً

جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بابتسامٍ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بلى ! إنه ليعجبني كل

الإعجاب ، ولا سيما حين يُنشده الذين يصوّرون

الحبّ بابتسامهم أكثر مما يصوّرون الودّ الصحيح .

وأكبر الظن أن المتنبي نفسه كان من هؤلاء حين

قال هذا البيت .

تَمَلُّقٌ

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا ترى إلى فلان قد
كان أبعد الناس عن التملُّق ، فلما تقدَّمت به السنّ
جعل إمعانه فيه يزداد من يوم إلى يوم ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كان يعتمد على نفسه
ما واثقه قوة الشباب ، فلما أدركته الشيخوخة اتخذ
من التملُّق عصاً يدبُّ عليها .

كذب

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أَلَا يَغِيظُكَ هَذَا الشَّاءُ
الَّذِي لَا يَصْدَقُهُ قَائِلُوهُ وَلَا قَابِلُوهُ وَلَا سَامِعُوهُ ! .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كَلَّا يَا بُنَيَّ الْإِنِّي أَعْلَمُ
أَنَّ النَّاسَ أَحْرَارٌ فِي أَنْ يَقِيمُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى الْكَذِبِ ،
وَنَحْنُ أَحْرَارٌ فِي أَنْ نَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَوْ نُنْكِرَهُ عَلَيْهِمْ .

مروءة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أَلَا تُحَدِّثُنِي عَمَّا أَلَمَّ
بِقَوْمٍ كَانُوا كِرَامًا أَعِزَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الضَّعَةِ وَيَنْأَوْنَ عَنِ
الصَّغَارِ ، فَلَمَّا أَدْرَكْتَهُمُ الشَّيْخُ خَوْخَةً أَقْبَلُوا مَتَهَالِكِينَ
عَلَى مَا كَانُوا يَكْرَهُونَ ذَكَرَهُ مِنْ صَغَائِرِ الْأُمُورِ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إِنَّ تَقَدُّمَ السِّنِّ
لَا يُضْعِفُ الْجِسْمَ وَحْدَهُ ، وَلَكِنَّهُ يُضْعِفُ أَيْضًا
الْعُقُولَ وَالنَّفُوسَ وَالْمَرْوَةَ ، إِلَّا عِنْدَ قَلِيلٍ مِنَ النَّاسِ
يَكَادُونَ يُخْصَوْنَ فِي كُلِّ جِيلٍ .

نفاق

كُلَّفَ عَمَلًا لَا يُحْسِنُهُ وَلَا يَسْتَطِيعُ الْبُحُوصَ بِهِ ،
يَقْصُرُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ عَقْلُهُ وَسُنَّتُهُ جَمِيعًا ، وَلَكِنَّهُ مُنِيعٌ
أَجْرًا ضَخْمًا ، وَرُفِعَ إِلَى مَكَانٍ مُمْتَازٍ ، فَشَكَّ غَيْرُ
طَوِيلٍ بَيْنَ الْأَمَانَةِ الَّتِي تَحْرِمُهُ مَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مِنْ
خَيْرٍ ، وَالْخِيَانَةِ الَّتِي تُرْضِي طَمُوحَهُ إِلَى الْمَالِ وَالْإِمْتِيَازِ ،
وَلَكِنَّهَا تَضِيعٌ عَلَى الشَّعْبِ حَقُوقَهُ وَمَنَافِعَهُ ؛ فَآثَرُ
الثَّانِيَةِ لِأَنَّهُ يَحْرُسُ عَلَى إِرْضَاءِ أَهْوَاءِهِ وَشَهَوَاتِهِ أَكْثَرَ
مِمَّا يَحْرُسُ عَلَى إِرْضَاءِ الْحَقِّ وَإِثَارِ الْمَنْفَعَةِ الْعَامَةِ .

قال الطالب الفقي لأستاذة الشيخ : ومع ذلك فالناس
يلقونه بالتَّجَلَّةِ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِأَسْنَتِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : نعم ! ولكنهم
يزدرونه في نفوسهم ، ويعقتونه في ضمائرهم ، وتلعنه
قلوبهم . وهل رأيت أمور الناس تدور على غير
الكذب والنفاق !!

نفاق

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : من عسى أن يكون
هذا الرجل الذى يقول فيه خالد بن صفوان إنه ليس
له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى وهو يبتسم : قد علمت أنه
شبيب بن شيبه .

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : قد والله علمت ذلك
وكأننى لم أحسن توجيه السؤال ، فعلمنى كيف
يستطيع الرجل أن يضع نفسه بحيث لا يكون له
صديق فى السر ولا عدو فى العلانية .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : سبيل ذلك أن يملأ
الرجل قلبه أثره صادقة لا تُفارقه ، ويُسبغ على وجهه
ابتسامة كاذبة لا تُفارقه ؛ فهو إن فعل ذلك لم يحب

إلا نفسه في السرّ والعلانية ، ولم يُبغضه الناس في
ظاهر ما يكون بينهم وبينه من الصّلة .

قال الطالب الفّي لأستاذه الشيخ : وتظنّ ذلك يسيراً
سهلاً ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفّي : هيهات ! إنّ من
النفاق ما هو أصعب احتمالاً على أصحابه من الصراحة .

نفاق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : متى يَحْسُنُ رأيك
في الناس ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : متى حَسُنَ رأي
الناس في أنفسهم .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لم أفهم عنك .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لو حَسُنَ رأي الناس
في أنفسهم لما أقاموا حباتهم على النفاق .

حياء

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : أتعرف أبلغ من هذا
البيت أثرًا فى النفس :

وإنى لأستحيى أخى وهو ميتٌ
كما كنتُ أستحييه وهو قريبٌ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : نعم ! قول لييدٍ :
ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهم
وبقيتُ فى خلفٍ كجلدٍ الأجرَبِ

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : فإنى لا أفهم عنك
ما تريد منذ اليوم !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : فإن الذين كانوا
يستحيون إخوانهم أمواتًا كما كانوا يستحيونهم وهم
أحياء قد ماتوا ، كما يقول العامة الآن . وبقى بعدهم
هذا الخلف الذي يُشَبَّهه لبيدٌ بجلد الأجرى والذي
لا يستحي من حيٍّ ولا من ميت ، ولا يستحي من
نفسه ولا من الله .

إشاعات

قال الطالب الفقى لأستاذہ الشیخ : إلامَ أراد الشاعر
القديم حين قال :

يقولون أقوالاً ولا يعلمونها
فإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يُحَقِّقُوا

قال الأستاذ الشیخ لتلميذہ الفقى : أراد إلى مثل ما نُفِرَق
فيه بين حين وحين من الباطل المذاع ، والزور
المشاع ، والبهتان الذى تَفْسُدُ له الحياة العامة ،
وتسوء له الصلات بين الناس ، وتقوم عليه مع ذلك
أو من أجل ذلك أمورُ الأمة .

نهضة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما تقول في شعب
يجري أمره على جهل الشباب وطيشهم من جهة ، وعلى
ضعف الشيوخ ومُحمّتهم من جهة أخرى ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أقول إنه شعب ناهض
يسعى إلى المجد بخطو سريع !

حقوق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : متى تصلح الدنيا
ويصلح أهلها ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لا أدري ! وما أحسب
أن الدنيا تصلح أو أن أهلها يصلحون في يوم من الأيام .
ولكن هناك مقداراً من الخير لا يستقيم للناس بدونه أمر

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وما ذاك ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ألا تتخذُ حقوقُ
الشعبِ ومنافعهُ مَطْيئةً إلى قضاء المآرب وإرضاء
الشهوات .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وهل إلى ذلك من
سبيل ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : نعم ! يوم يعرف الشعب
حقوقه ومنافعه ، ويبين لساسته وقادته أنه عليها حريص

ولها مؤثر ، وأنه مستعدٌ لأن يُضجّى في سبيلها بما
تُضجّى به الشعوب الكريمة في سبيل الاحتفاظ بالحقوق
والمنافع العامة .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : هيهات !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : قد كنت أظن أن
هذه الكلمة إنما تجرى على السنة الشيوخ ، فأما السنة
الشباب فتجربى عليها كلمات أخرى !

صدق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألسنت قد علمتنا صباح
اليوم أن الخبرَ شيءٌ يحتمل الصدق والكذب دائماً ،
وأن هناك مُرَجَّحات تميل به إلى الصدق حيناً وإلى
الكذب حيناً آخر ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بلى ! وما إعادتك في
المساء لحديث جرى في الصباح ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فإنك قد نسيت
مُرَجَّحات يرتفع بالأخبار إلى الصدق الذي لا شك فيه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما ذاك ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : هو بطش الحاكم
المستبد فيما مضى ، وظروف الحرب في هذه الأيام . وما
أذكرني ذلك إلا قول أبي العلاء :

جَلَوْا صَارِمًا وَتَلَوْا بَاطِلًا
وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمْ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي وهو يضحك : فإن صارم
الحاكم المستبد وحكم الحرب لا يُصَدَّقَان خبراً كاذباً، ولا
يكذبان خبراً صادقاً؛ لأنهما يستطيعان أن يُراقبا القلم
واللسان، ولا يجدان سبيلاً إلى مراقبة النفوس والقلوب.

صلة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : يُرْوَى عَنْ عَثْمَانَ
— رحمه الله — أنه قال : « كان عمر يمنع أقرباءه ابتغاء
وجه الله ، وأنا أعطى قرأبائي لوجه الله ، ولن يرى
مثلُ عمر » . فأى المذهبين أخرى أن يُتَّبَعَ ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لقد أنباك بذلك عثمان
نفسه حين قال : « ولن يرى مثل عمر » . والأمر أظهر
من أن يحتاج إلى تأويل ؛ فمن الخير أن يعطى الرجل
أقرباءه وأصدقاءه ومن لا يَمُتُّ له بصلة ابتغاء وجه الله ،
على أن يكون العطاء من ماله الخالص لا من مال الدولة ؛
لأن لمال الدولة مواضع ينبغي أن يُنْفَقَ فيها ، وليس من
هذه المواضع إعطاء الأقرباء والأصدقاء .

ضعة

قال الطالب الفقي لأستاذ الشيخ : ما بال قوم تسمو بهم
منازلهم وثقافتهم إلى الرفيع من الأمر فلا يأتون إلا
ما فيه ضعة وتسفل وانحطاط ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : أولئك قوم يتفوق فيهم
سلطان الغرائز على سلطان الحضارة ، وقد خُلِقُوا للضعة ،
فلما حاولت الحضارة أن ترفعهم أثقلت عليها عقولهم
وقلوبهم ونفوسهم وخفت أجسامهم ، فارتفعت هذه
الأجسام إلى المقام الممتاز وظلت العقول والقلوب
والنفوس حيث خُلِقَتْ ، تجذبها الحضارة إلى أعلى فلا
تنجذب ، وتجذبها الغريزة إلى أسفل فتُسَمِّحُ وتُطِيع .
قال الطالب الفقي لأستاذ الشيخ : ألا ترى أن الحياة
الديمقراطية تتكشف عن كثير من هؤلاء ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : ذلك أحرى أن يكون ؛

لأن الديمقراطية تُلغى القيود وتيسر الظهور لما خفي
من أمور الناس ، والارتفاع لمن حقه أن يظلّ وضعياً .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وأنت مع ذلك تحبّ
الديمقراطية وتؤثرها !!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : نعم ! لأنّ حسناتها
أكثر من سيئاتها ، ومنافعها أكثر من آثامها . والخير
الخالص لم يتح للناس في هذه الحياة .

نكسة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : قد كان فلان أياً
حياً ذكياً مرتفعاً عما يؤذى كرامة الرجل الكريم ،
فلما بلغ السبعين ابتذل من نفسه ما لم يكن للابتذال
سبيل إليه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ردّته السن إلى طفولة
العقل ، وحفظت عليه رجولة الجسم ، فأدركه شيء
يُشبه النكسة .

تحكم

فرّق أصحابه للسطو ، وضرب لهم موعداً لاقتسام
الغنيمة ، فجاءه بعضهم بألف ، وجاءه بعضهم بخمسمائة ،
وجاءه بعضهم بأكثر من ذلك وأقل .

فلما أراد القسمة زعم صاحب المائة أن حظّه يجب
ألا يقلّ عن حظ صاحب الألف . وهمّ القوم أن
يجادلوه ، فاضطربهم إلى الصمت والإذعان ؛ لأنه أنذرهم
بأن يرفع أمرهم وأمره إلى الشرطة .

ابتسامه

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أليس يقال أن ابتسام
الشجر آية على ابتسام النفس ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وقد يقال إن ابتسام
الشجر آية على عبوس النفس .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فقد رأيتُ على ثغر
فلان ابتسامه لم أستطع لها تأويلاً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : في ذلك الاجتماع
الذي شهدته اليوم ، أولم تسمع لما كان يقال ؟ أولم تر إلى
ما كان الناس يأتون من حركات ؟ .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : بلى ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فقد كنت تستطيع
أن تقرأ في تلك الابتسامه التي رأيتها على ثغر فلان

استخفافه بكل ما كنت تسمع ، وبكل ما كنت ترى ؛
لأنه كله لم يكن يَصوِّرُ إلا الكذب ، والكذب الذي
يريده أصحابه عن عمد ، وهم يعلمون أنهم يكذبون .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وهل تقوم هذه
الاجتماعات إلا على هذا الكذب ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإذا رأيت فلانا
يبتسم لها فاعلم أنه يستخف بها .

ضحك

قال أستاذ محنتك وهو يبتسم لأساتذة محنتين لم يكونوا أقل منه ابتساما :

لقد تجاوزنا وقت الشك ، ولم يستطع أن يمضي في الحديث لأنه أغرق في الضحك .

قال الأساتذة المحنتون : نعم ! ووصلنا إلى اليقين القاطع .
ولم يستطيعوا أن يمضوا في القول لأنهم شاركوا أصحابهم في ضحكة الذي كان يغرق فيه .

وبال على صاحبي يسألني : أضحكون من أنفسهم أم يضحكون من الناس ؟ ولم يستطع أن يمضي في الحديث لأنه أغرق في الضحك .

قلت لصاحبي : هم يضحكون من أنفسهم ومن الناس .
ولم أشارك صاحبي في ضحكة الخافت ، ولم أشارك القوم في ضحكهم الصاخب ، وإنما لبثت باسماً أرثي لهم جميعاً .

جلاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى مصر تتوسّط
في جلاء الفرنسيين عن سوريا ولبنان !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هذا حسنٌ، وأحسن
منه أن تتوسّط مصر في جلاء البريطانيين عن
أرض الوطن.

توبة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إلامَّ أراد صاحب
هذا البيت :

ألا قل لأصحاب الخائض أهملوا
فقد تاب مما تعلمون يزيد

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ذاك لصٌ كان يسرق
الإبل ، وكان الناس يخافونه على أموالهم فيحتاطون
لحراستها؛ فهو يُعلن إليهم أنه قد تاب وأقصر عما يخافون ،
وليس كل لص قادراً على التوبة .

توبة

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : إلامَ أراد صاحب

هذا البيت :

وإنَّ امرأً ينجو من النَّارِ بَعْدَ مَا
تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أراد إلى أن حمل

النفس على التوبة عن الإثم شىء عسير ، وإلى أن التوبة
إن صحت فقبولها وردّها إلى الله . فمن قارف الإثم أو
تورّط فيه ثم تاب وقبل الله توبته فهو السعيد .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : وأتّى له أن يعلم أن

الله قبل توبته أو ردّها ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : سيعلم ذلك حين

تُعْرَضُ عليه أعماله يوم القيامة ؛ فهو إذاً لن يحقق هذه
السعادة في الدار الأولى .

فن

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ما بالُ فلانٍ يَنْسَى دارَ
التمثيل إذا صُرِفَ عنه السلطان ، فإذا رُدَّ إليه أَلَحَّ في
زيارتها ؛ ولقد رأيتُه أَمْسَ وأول من أَمْسَ وأول من
أَوَّل من أَمْسَ ، فذكرت قول الشاعر القديم :

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى

وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لأنه يحبُّ أن يستمتع
بالفن على ألاَّ يؤدِّي لذلك ثمنًا .

كساء

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إذا صُرِفَ فلانٌ عن
السلطان لم يره أحدٌ ، فإذا رُدَّ إلى السلطان رآه كلُّ
الناس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لأنه يرى شخصه
عورة لا ينبغي أن تظهر إلا أن تتخذ من السلطان
كساء .

فصاحة

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إذا صُرف فلان عن
السلطان لم يسمعه أحد ؛ فإذا رُدَّ إلى السلطان أكرر
القول حتى أملَّ الناس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لأن له لساناً تُطلقه
التولية ، ويعقله العزل .

فصاحة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إذا صرف فلان عن
السلطان أطلق لسانه بالشرف في الناس جميعاً ؛ فإذا رُدَّ إليه
أطلق لسانه بالثناء على الناس جميعاً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لأنه يسخط فلا يقول
إلا شراً ، ويرضى فلا يقول إلا خيراً ، وقد حيل بينه
وبين خير الأمور .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : خير الأمور ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ألم تعلم أن خير الأمور
أوساطها !

أعجوبة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما يقول
فلان في علوم اللغة وهو أجهل الناس بها ، حتى استيقن
أنه من أقدر الناس على التصرف فيها !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كأنما كان أبو العلاء
يفكر فيه حين قال :

هذا أبو القاسم أعجوبة
لِكُلِّ مَنْ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي
لا يقرض الشعر ولا يقرأ الـ
قرآن وهو الشاعر المقرئ

تملق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى إسراف
«مارسيال» في تملق مولاه قيصر حين زعم له أن
خزائن الآلهة لا تكفي لمكافأته على ما قدم من خير !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : رأى قيصر نخافه وطمع
فيه ، ولم ير الآلهة فلم يحفل بهم . وأكبر الظن أن هذا
الوثنى الذكى كان يستخر من آلهته ومن قيصر جميعاً .

تملق

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى هذا الشاعر
اللاتيني الثرثار « مارسيال » كيف يَسْخَرُ من مصر
وأهرامها ليُسَيِّد بهذا القصر الذي شاده قيصر ! ومع
ذلك فقد مضى قيصر واندثر قصره ، وما زالت الأهرام
باقية على الدهر .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إن هذا الشاعر يَأْبَى
لم يسخر من الأهرام التي شادتها أيدي المصريين وحدها ،
ولكنه سخر من الجبال التي شادتها يد الله ، وإنَّ تَمَلَّقَ
القياصرة لَيَكَلِّفُ الشعراء شَطَطًا عظيمًا .

نقمة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما اعتذر
النابعة إلى النعمان ! فماذا جنى الشاعر أو ماذا تقم النعمان ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : جنى الشاعر الجفافية
الكبرى ؛ فقد كان حراً شاكراً لنعمة أسداها إليه غير
النعمان . و تقم النعمان من شاعره أنه لم يخلص له من
دون الناس . ألم تقرأ قول النابعة :

ولكنني كنتُ امرأً لي جانبُ
من الأرض فيه مُستَراذٌ ومذهبُ
ملوكٍ وإخوانٍ إذا ما مدَحْتَهُم
أَحَكَمُ في أموالهم وأقربُ
كصُنْعِكَ في قوم أراك اضطَفَيْتَهُم
فلم ترَهُم في شكر ذلك أذنبوا !

عزة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أترى الحلفاء يَفَوُّنَ

بِإِثْقاقِ الأَطلَنطِيِّ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كما وَفَّوا بِمِبادِي

الرئيس « ولسن » .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وإِذَا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وإِذَا فَالشَّعبُ الَّذِي

لا يَرجو مَنعًا ولا يَحْشَى مَنعًا ، وَإِنَّمَا يُنْصَفُ نَفْسُهُ

وَيُنْصَفُ مِنْ نَفْسِهِ ، هُوَ الشَّعبُ العَزيزُ الكَريمُ .

توحيد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أليس مما يملأ القلوب
غبطةً والنفوسَ رضا أن نرى مصر تعمل على توحيد
كلمة العرب ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بلى ! وأدعني من ذلك
إلى الغبطة والرضا أن توحد مصر كلمة أبنائها .

جبن

قال موظف كبير لبعض رؤسائه السابقين : أحقُّ أن يبابك
رَصْدًا يرقبون المُقبِلين عليك والمنصرفين عنك ؟

قال الرئيس السابق : نعم ! أى رَصْد ! إنهم لا يغفلون
عن طارق بالليل أو زائر بالنهار .

قال الموظف الكبير : فاعذرنى إن قصَّرت عن زيارتك .

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : لا أعلم أن يباب فلان
رَصْدًا أيقاظًا أو نيامًا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أراد فلان أن يريح
صاحبه من مشقة السعى إليه ، وأن يُريح نفسه من
لقاء الجبناء .

ملق

قال الطالب الفقي لأستاذة الشيخ : ما بال قوم من العلماء
يتحسسون من رأى الحكام فى العلم ليتخذوه لأنفسهم
رأيا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : يريدون ألا يستأثر الناس
من دونهم برضا الحكام .

ملق

رأيت قوما يأكل الملق مروءتهم ، كما تأكل
النار الخطب ، وكما يأكل الحسد قلب الحسود .

نحو

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أَوْصَدِّقْ النحويين
وأصحاب اللغة أم أصدق فلاناً مع أنه لا يقول في النحو
واللغة إلا خطأ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : صَدِّقْ فلاناً لأنه نحويٌ
لغويٌ بحكم القانون .

مثل

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فسر لي هذا المثل
العربي القديم :

« إلبس لكل حالة لبوسها
إمّا نعيمها وإمّا بؤسها »
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : تريد تفسير الجِدِّ أم
تفسير الهزل ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أريد تفسير الجِدِّ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فكن حُرّاً كريماً إن
أذنت لك نُظْمُ الحكم أن تكون حُرّاً كريماً ، وكن عبداً
ذليلاً إن اقتضتكَ نظم الحياة أن تكون عبداً ذليلاً ،
واتخذ لنفسك ثوبين : ثوب النعيم تلبسه حين يُؤذَنُ

في الناس بالحرية ، وثوب البؤس تلبس حين يؤذَن في
الناس بالرقّ . وأىّ الثوبين لبست ، فكُن عنه راضياً
وبه مجبوراً .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : فإن أردتُ تفسير الهزل ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : فكُن رجلاً حرّاً
كرماً لا تُبطره النعمة ، ولا تغضُّ منه النقمة . وإنك
لتعلم أن الذين يحسنون الهزل قليلون .

مثل

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم يكن يقال في قديم
الزمان « إن الناس على دين ملوكهم ! » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كان ذلك يقال قبل أن
تتحرر الشعوب ، فأما الآن فأحرى أن يقال إن الملوك
على دين شعوبهم .

مثل

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا يزال من الحق أن
الناس على دين ملوكهم ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بلى ! وعلى دين رؤسائهم
أيضاً في بعض البلاد .

مبدأ

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان يتملق
حزبَ الكثرة وحزبَ القلة جميعاً ؟

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : لأنه يحتاج إلى الحزبين ،
ولأن الحزبين يحتاجان إليه .

مبدأ

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : إني أرى فلاناً يتملق
البيئات السياسية مهما تختلف .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لأن الأيام دُولٌ ،
ولأن الأرض تدور .

زهد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بالُ فلان يأخذنا
بالقناعة ويُحشِّم نفسه أهوال الجشع ؟ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : يُؤثرُكم بالراحة ،
ويشقّ على نفسه بالكد والجهد .

سلطان

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : **تَقِلَّ إِلَى فَلَانٍ أَنْكَ**
قَلْتَ فِيهِ مَا يُؤْذِيهِ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : **إِنْ أُرْزِقَ السُّلْطَانُ**
فَلَنْ يُؤْذِيَهُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أَقْلَ فِيهِ ، وَإِنْ أُحْرِمَ السُّلْطَانُ
فَسَيُؤْذِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وعظ

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إن فلاناً لحكيمُ
القول ، أحمقُ السيرة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لأن لسانه يَصْدُرُ عن
عقله ، ولأن سيرته تصدر عن قلبه ، ولأن الأسباب
بين عقله وقلبه مقطوعة لا سبيل إلى أن تتصل .

وعظ

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إن فلانًا ليأمرنا
بالمعروف ويدعونا إلى الخير حتى نحبه ، وإنه مع ذلك
ليمن في الإثم ويتورط في الخطيئة حتى يُبغضه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أتيح له القدرة على
أن يصدقكم ، تُتاح له القدرة على أن يصدق نفسه .

وعظ

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لا أعرف أفصح من
فلان إذا وعظ ، ولا أعرف أبعد منه عن سيرة
الرجل الكريم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إن بعض الفن تفاق
يبرع فيه صاحبه ، حتى يسحر الناس ، دون أن يكون
بين هذا الفن وبين قلبه سبيل .

زهد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما يُبَغِّض
فلانٌ إلى الناس أعراض الدنيا ! وما أكثر ما يتهالك
على أعراض الدنيا ! وما أجدره أن يقول فلا يصدِّقه
أحد ، وأن يدعو فلا يستجيب له أحد ؛ لأن الناس
يرون مكانه من هذا التناقض .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما يُدريك ! لعله
يصدق في النصيح للناس ، ويكذب في إغراء نفسه
بالمال . خذ منه كلمة الحق ، وهبه كالصيرفي المزيف
تكثر عنده الدراهم والدنانير الزائفة ، ولكنه لا يعدم
درهماً جيّداً أو ديناراً عتيقاً .

زهد

قال الطالب الفقي لأستاذة الشيخ : لا أسمع من فلان إذا
لقيته إلا النصيح لي بالسمو إلى الروح والتنزه عن
المادة ، ولا أقرأ له فصلاً إلا رأيت يحث الناس على
السمو إلى الروح والتنزه عن المادة ، وهو على ذلك
غارق في المادة إلى أذنيه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : ومن أجل ذلك أبغض
المادة التي توشك أن تقتله ، فنصح للناس بالبراءة منها
والتنزه عنها ؛ ولولا بغضه للثراء لما نصح لكم بالتجافي عنه .
قال الطالب الفقي لأستاذة الشيخ : وما يمنع أن يتجافى
عن ثرائه ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : يمنع من ذلك رجولته
التي تفرض عليه احتمال المحنة والصبر على العذاب إمعاناً في
طاعة الله عز وجل ؛ فالله يمتحن الأغنياء بالغنى ، كما
يتمتحن الفقراء بالفقر .

رأفة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لو قسّم فلان ربيع
ثروته على أهل قريته لأغناهم ، واطلّ بعد ذلك
أعظمهم ثراء .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هو أرأف بأهل
قريته من ذلك ، فحسبُه أن يحتمل وحده ثقل الثراء .

عطف

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لو خرج فلان لأهل
قريته عن بعض ماله ليسقيهم ماءً نقيًا لئلا يمرض
المرض ، ولا استفاد زرعهم من صحة أجسامهم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هو أعطف عليهم
من ذلك . ألم تعلم أن المرض محنة يثاب عليها المريض
إن أحسن احتمالها ، وأن الصحة فتنة يعاقب عليها
الصحيح إن أساء استعمالها ؛ فهو يؤثرُ أهل قريته
بالثواب ، ويعصمهم من الفتنة .

زهد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لم أر أشدَّ من فلان
تزهداً للشباب في المال ، ولم أر أشدَّ منه حرصاً على
جمع المال .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما تُنكر من ذلك !
إنه يؤدِّي إلى الشباب حقهم من النصيح الصادق ،
وإلى نفسه حقها من الثراء العريض .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فهلاً نصيح لنفسه
بمثل ما ينصح به للناس ! .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ألم تقرأ بيت البردة :
أمرتُك الخيرَ لكن ما انثمرتُ به
وما استقمتُ فما قوِّلي لك استقم
إنما الحق على الشباب أن يتلقوا كلمة الخير ولو من
الشرير ، وكلمة البر ولو من الفاجر ، وكلمة الزهد ولو من
الشرِّه المسرف في الطمع . لهم خير ذلك ، وعلى من
يكذب عليهم إثم ما يقترف من الكذب .

جاه

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أَجْدَرَنَا أَنْ نتمثل
في كثير من الأحيان بقول « مارسِيال » لبعض
أصحابه : « إن هذا الذي يعلن إليك المودة والحب
إنما يحب مائدتك المثقلة بالطيبات . ولو قد أثريتُ
وأثقلت مائدتي بلذيق الألوان لأصبح لي صديقا » .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه . الفتي : نعم ! ولا سيما إذا
وضعنا الجاه مكان المائدة ، ووضعنا المنافع العاجلة مكان
ألوان الطعام . فما أَكْثَرَ الذين يغيرون أصدقاءهم
بتغير الوزارات !

سؤال

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : أُحِبُّ أَنْ تُجِيبَ عَلَيَّ
هَذَا السُّؤَالَ الَّذِي أَلْقَاهُ « مَارْسِيَال » عَلَيَّ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ مَدَاعِبًا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : وَمَا ذَاكَ ؟

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ذَاكَ أَنَّ فُلَانًا بَاعَ
مَزْرَعَتَهُ وَاشْتَرَى بِشَمْنِهَا غَلَامًا حَسَنًا ، وَأَنَّ فُلَانًا بَاعَ
غَلَامَهُ وَاشْتَرَى بِشَمْنِهِ مَزْرَعَةً خَصْبَةً ؛ فَأَحَدُهُمَا يُحِبُّ ،
وَالْآخَرُ يَزْرَعُ الْأَرْضَ ، فَأَيُّهُمَا أَحْسَنُ حَالًا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : كُلُّهُ مُيَسَّرٌ لِمَا
خُلِقَ لَهُ .

قرض

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال قوم يعمرون
الحانات والمراقص ، ويقتربون السيئات والآثام ،
فيشربون ويطربون ويلعبون ، ويريدون بذلك كله
إغاثة الملهوف ، وإطعام الجائع ، وإعانة البائس
المحروم ؟

قال أحد الحاضرين : أولئك قوم يحادّون الله ويؤادّون
الشیطان .

قال آخر : أولئك قوم يتخذون غضب الله القوى
وسيلة إلى رضا الإنسان الضعيف .

قال ثالث : أولئك قوم يُقرضون الله بالربا ،
ولكنهم يتعجلون الفائدة في الدنيا مخافة أن تضيع
عليهم في الآخرة .

قال رابع : أولئك قوم وثقوا بالحياة العاجلة
فاغتنموا لذاتها وشكروا في الحياة الآجلة فلم ينتظروها.

قال الأستاذ الشيخ لتلاميذه الفتيان : أولئك قومٌ يحسُنُ
أن تقرأوا فيهم إن شئتم قول الله عز وجل :

« أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تُسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَفْسُقُونَ . »

موسيقى

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم يبلُغني أنك لا تأوى
إلى عُرفتكَ إذا تقدَّم الليل حتى تسمع أَلحاناً من
الموسيقى ، ففيم هذه العادة ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أغسِل بها نفسى من
أوضار الحياة الاجتماعية .

سعادة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أليس جميلاً قولُ
« مارسيال » لأحد أصدقائه إنه شقيٌّ بسعادته .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : بلى ! كما أن بعض الناس
يسعدون بشقائهم .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : الحق أنني لم أفهم عنك ،
كما أنني لم أفهم عن « مارسيال » وإنما تعجبنى صيغتك ،
كما تعجبنى صيغته لما أرى فيهما من المطابقة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : الأمر أدنى إلى الجِدِّ
من المطابقة ؛ فالسعيد يشقى بسعادته لأنه يحتاج منها
إلى أكثر مما ينال ، والشقي يسعدُ بشقائه لأنه يجد هذه
اللذة البغيضة التي يشتقها من الغيظ لنعمة الناعم ، وترَف
المُترَف ، والتي يمكن أن تسمى حسداً . ولكلا هذين
الأمرين اسم بغيضٌ في الأخلاق ؛ فشقاء السعيد بسعادته
بَطْرٌ ، وسعادة الشقي بشقائه حسدٌ .

عجز

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : ما تأويلُ هذا البيت
من شعر الحماسة :

فازْجُرْ حِمَارَكَ لَا يَرْتَعُ بَرَوْضَتَنَا
إِذَا يُرَدُّ وَقَيْدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبُ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : هذا مَثَلٌ أراد به
الشاعر تصوير قدرته على عقاب من يعتدى عليه .
وما أَكْثَرَ الحِمِيرِ التى ترتع فى رياض الناس هذه الأيام ،
فلا تجد مَنْ يَرُدُّها ، أو يصدُّها ، أو يملك لها عقاباً .

زيارة

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : قد كان فلان يُكثِرُ
من زيارة فلان قبل أن يتنكر له السلطان ، فلما
أعرضت عنه الدنيا أعرض معها .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لا ! ولكنه يزوره
ويُطِيلُ الإقامة عنده إذا جنَّ عليه الليل ، لأنَّ آية
النهار مُبْصِرَةٌ ؛ فإذا انصرف أنشد قول المتنبي في
بعض مدائح كافور :

أزورهم وسوادُ الليلِ يَشْفَعُ لي
وأندنى وبياضُ الصُّبحِ يُغْرِى بي

تاريخ

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أتصدقُ أن التاريخ يُعيد نفسه ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لا أُصدقُ ذلك ولا أكذِّبه ، ولكن ! لم تُريد ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أريد أن التاريخ سخيْفٌ لا خيرَ فيه إن كان يُعيد نفسه ؛ لأنَّ ذلك يدلُّ على أنه لم يستطع للناس وعظاً ولا إصلاحاً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما ذنبُ التاريخ إذا كانت طبيعة الناس لا تتعظ ولا تقبلُ الإصلاح ! فقلُّ إن التاريخ سخيْفٌ ، كما أن الموت سخيْفٌ ؛ لأن الموت يعيش بين الناس ولا يبلغ من نفوسهم موعظةً ولا إصلاحاً .

نفوس

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما تقول في هذا البيت الذي لا يسأم الناس إنشاده من شعر المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً
نعمت في مرادها الأجسام
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وماذا تريد أن أقول فيه ؟ إنما هو حكمة من هذه الحكم التي يرسلها المتنبي فتطرد أحياناً ، وتقصُر عن الاطراد أحياناً أخرى ، فمن كبار النفوس ما تُتعبُ الأجسام ، ومنها ما لا يَمَسُّ الأجسام بتعب قليل أو كثير .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : فلو أن المتنبي وضع النفوس الصغار موضع النفوس الكبار ، فكيف كان يقول ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : كان يقول :

وإذا كانت النفوس صغاراً
نعمت في مرادها الأجسام

وكان ذلك أحرى أن يكون مُطَرِّداً مُصِيباً . والشئ
الذى لاشك فيه هو أن المتنبى أخطأ الغرض الذى
كان ينبغى أن يرمى إليه .

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : وما عسى أن يكون
هذا الغرض ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : هو أن كبار النفوس
تُحْمَلُ صغارها أعباءً ثِقَالاً ؛ لأنها تُسَخَّرُها لما تريد
من عظيم الأمر ، وأن صغار النفوس تكلف كبارها
آلاماً مُمِضَةً لأنها تقصُر عن أن تُبَاغِها من عظيم
الأمر ما تريد .

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : وإذا ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : وإذا ، فقد خُلِقَ
الناسُ ليكون بعضهم لبعض مصدرَ مُحَنَةٍ وشقاء .
وأصاب زياد حين قال :

« نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ » .

صمت

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أَلَا تُفَسِّرُ لِي هَذَا
الْبَيْتَ الَّذِي تُكْثِرُ إِنْشَادَهُ بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ :
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ
نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هَذَا بَيْتٌ رَائِعٌ ،
صَوَّرَ بِهِ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرْبَ خِيْبَةِ أُمْلِهِ فِي قَوْمِهِ
حِينَ لَقُوا عَدُوَّهُمْ ثُمَّ فَرُّوا وَلَمْ يَبْلُغُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرْبَ شَاعِرِ قَوْمِهِ ، فَكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ
إِلَيْهِ أَنْ يَمْلَأَ الْأَرْضَ غِنَاءً بِمَفَاخِرِهِمْ وَمَا ثَرَمَ . وَأَيُّ شَيْءٍ
أَشَقَّ عَلَى الشَّاعِرِ مِنْ أَنْ يُضْطَرَّ إِلَى الصَّمْتِ !

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وَمَا تَمَثَّلَكَ أَنْتَ بِهَذَا
الْبَيْتِ بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أتظن أن الناس من
حولنا يُبلون البلاء الحسن في كل مواطن الجِدِّ !!

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : هيهات !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فَأَنْشِدْ مثلي قول
عمرو بن معدى كَرَب :

ولو أنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ
نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

ثقة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وثق فلان بأصدقائه
حين لم يكن محتاجاً إليهم ، فلما جدَّ الجدُّ أخلفت
الأيامُ ظنَّه ؛ فهو بذلك شقيٌّ ، وله محزون .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فاعتبر أنت بمخنته
في أصدقائه ، وأقم رأيك في الناس على هذا البيت
الرائع القديم :

وإن حدثتك النفس أنك قادرٌ
على ما حوت أيدي الرجال فكذب

مُنَى

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أحسنَ ما تمنى

« مارسيال » ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وماذا تمنى ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : « تمنى ثروة لا تُكسبُ
بالكدِّ ، وإنما تُكسبُ بالميراث ، وأرضاً لا تُكذبُ
أملَ صاحبها ولا عمله ، وداراً عامرة لا تخبو نارها ،
وراحة من الخصومة أمام القضاء ، وقليلاً من زيارة
أصحاب السلطان ، ونفساً هادئة مطمئنة ، وجسماً يجمع
القوة والصحة إلى الظرف والنشاط ، وصراحة قوامها
حسن الأدب ، وصديقاً أكفاء وضيئفاً أسماحاً ،
ومائدة أنيقة في غير تكلف ، وليالى لا سكر فيها
ولا هم ، وزوجاً مُحَصَّنَةً لا تُفارق في الحياء ، ونوماً
يختصر ظلمة الليل ، واطمئناناً إلى الحال التي هو

عليها دون طموح إلى حال أخرى ، وأمنًا من آخر
أيام الدنيا دون تعجلٍ له .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : كان « مارسيل »
أندلسي المنشأ ؛ ولقد أحسن التمني ، ولكنه لم يسمع
قول مواطنه العربي بعد موته بقرون طوال :
وإذا انشئتْ نَحْوِي الْمُنَى لَأَنَّا لَهَا
وَقَفَّ الزَّمَانُ كَمَا هُنَاكَ فَعَاقِبَا

نصح

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : **بَيِّنْ** لي بعض ما يتعرض له الشباب من موبقات النفس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : **إياك واليأس** من نفسك فإنه يسقط المهمة ، **وإياك واليأس** من وطنك فإنه يهدر الكرامة ، **وإياك واليأس** من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : **زدني** .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : **إياك والرضى** عن نفسك فإنه يضطرك إلى الخمول ، **وإياك والعجب** فإنه يورطك في الحمق ، **وإياك والغرور** فإنه يظهر للناس كلهم

تقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك . واذكر دائماً
قول المتنبي :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهَا
رَأَى غَيْرَهُ فِيهِ مَا لَا يَرَى

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : زدني .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : إياك والعناء في جمع
المال فإنه خِسة ، وإياك والحِرص على كنز المال فإنه
ذلة ، وإياك والإحجام عن بذل المال في وجوه الخير فإنه
ضعة . واقرأ قول الله عز وجل : « الَّذِينَ يَكْنِزُونَ
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ . هَذَا مَا كَنْزْتُمْ
لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ » .

ذلة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا ترى إلى فلان
يتعالى على رؤوسيه كأنه السيّد العظيم ، ويتضاءل
لرئيسه كأنه العبد الذليل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لو ملك هذا الرجل
أمر نفسه لما تعالى على قوم ولما تضاءل لآخرين ، وإنما
هو رجل فتمد نفسه فهو يلمسها في العلو الكاذب حيناً
وفي التضاؤل الصادق حيناً آخر فهو عبد ذليل في
الحالين ، وإنما السيد الجدير بالسيادة هو الذي لا يطغى
إن استغنى ، ولا يذل إن احتاج .

خسار

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى قوم أرسلوا
أنفسهم على سجيّتها ، فأبرموا الأمر ، وأحكموا القضية ،
ورضوا عن أنفسهم ورضى الناس عنهم . ثم بدا لغيرهم
فنقضوا ما أبرموا ، وفرقوا ما أحكموا ، وسخطوا على
أنفسهم ، وسخط الناس عليهم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أولئك قوم باعوا
مروءتهم بثمان بخس دراهم معدودة أو دنائير معدودة .
واقراً إن شئت قول الله عز وجل : « أولئك الَّذِينَ
اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ » .

نفور

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لو لقيت مرة واحدة

هؤلاء النفر فإنهم حراس على أن يروك .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أراك نسيت قول

الشاعر القديم :

حتى المحول بجانب الرمل

إذ لا يلائم شكها شكلي

هجر

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لو رضيت عن فلان
فإنه نادم على ما فرط منه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إليك عني واذكر
قول معن بن أوس :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

صد

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان ليج في
هجر الناس لا يفرق بين عدو وصديق .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : الغمرات ثم ينجليه
واذ كر قول البحتری :

ليج هذا الحبيب في هجرانه
ومضى والصدود أكبر شانه

روغان

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ما أعذب حديث فلان
حين يقول ، وما أقل غناؤه حين يعمل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي :
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الشَّعْلَبُ

أهبة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان أقبل
متأهباً للحرب قد أبدى ما يرهب من ظفر وناب .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : نسي أن لخصمه أظفاراً
وأنياباً . واذكر قول الشاعر القديم :

جاء شقيق عارضاً رحمه

إن بني عمك فيهم رماح

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما جمع فلان
حوله للحرب .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هيهات ، لن يكثر
خصمه بمن جمع له . واذكر بيت الحماسة :

ومن ربط الجحاش فإن فينا

قناً سلباً وأفراساً حسناً

نزاهة

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : لقد ضرب فلان أبرع
المثل في الذود عن نزاهة الحكم والتعفف عن فتاته
ومنافعه العاجلة ، والحرص على الاستقامة في القول
والعمل ، وعلى نقاء اليد والقلب والضمير .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي وعلى ثغره ابتسامة مرة حائرة لا تريد
أن تستقر : نعم ، بعد أن ملأ يديه بالمغانم والأسلاب .

تعفف

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان قد
اتخذ لنفسه في هذه الأيام مكان أبي ذر أيام عثمان فهو
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويبغض الأثرة ،
ويحجب الإيثار ، ويحذر من الأخذ من مال الدولة
بغير الحق .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي وهو مطرق لا يكاد يرفع رأسه :
لو بقي له مطعم لآثر الصمت .

تخرج

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما رأيت كاليوم
تخرجاً في تدبير أمور الدولة . .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وما ذاك ؟

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تسمع إلى فلان يلبح
في ألا يتولى مناصب الدولة إلا القادرون عليها
الناهضون بأعبائها الذين لا يمسون الوزراء من قريب
أو من بعيد .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وهو يلوى وجهه
ويرفع كتفيه ، بعد أن أَرْضَى ذوى قرابته على حساب
الدولة بما ليسوا له أهلاً .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : أنى لأرى فىك مرارة
لم أعرفها منك قبل اليوم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : إذا بلغ السيل الزبا ،
وجاوز الحزام الطيين ، وتجاوز كل شىء قدره ، وكل
إنسان غايته ، كان خليقاً بالرجل الحر الكرىم أن يطلق
حلاوة اللسان ، وعذوبة النفس إلى غير رجعة .

بعد فوات الوقت

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : لو سمعت إلى فلان
وهو يحذر من عواقب المحاباة لامتلاً قلبك به إعجاباً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : لو قال ذلك أمس
لصدقناه .

قصد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لقد خنقتني العبرة حين
سمعت فلاناً يأمر بالقصد في أموال الدولة ومناصبها .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : صدق الله العظيم :
« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

وهم التلميذ الفتي أن يراجع أستاذه فيم سمع منه .

ولكن الشيخ كان قد استوى ودخل في صلاة
العصر ، فلم يسع تلميذه إلا أن يستوى قائماً وراءه
ويدخل فيم دخل فيه من الصلاة .

كرامة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما كان فلان
يعتز بكرامته ، وما أسرع ما استجاب لم لا يلائم
هذه الكرامة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإن من الكرامة
ما يستجيب للمال كما يستجيب الحديد لدعاء
المغناطيس .

عزاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان قلب
لصديقه القديم ظهر المجن .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لم يجد عنده مطعماً
فتعزى عن اليأس بما ترى . واقرأ إن شئت قول الله
عز وجل : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا
مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » .

مكر

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان يـمكر
برئيسه ويؤلب عليه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أراد أن يبلغ رضى
رئيسه بالملق فلما أعياه ذلك أزمع أن يبلغ غضب
رئيسه بالكيد .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وتراه يبلغ من
ذلك ما أراد .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هيهات إلا أن يكون
الرئيس عبداً مثله .

إهداء

قال أحد الكتاب لبعض قرائه : أى الأدب أحب إليك ؟
قال الذى يرد على صدى من إصداء نفسى . قال الكاتب :
فإن كان هذا الصدى بغيضاً ؟

قال القارئ : إن كان بغيضاً علمت أنه الكتاب لم
يسجل صوت نفسى وإنما سجل صوت نفس أخرى
التمسها فيمن حولى من الناس .

إهداء

قال أحد الكتاب لبعض قرائه : أى الكتب أحب
إليك : قال الذى يعرض على صورة نفسى . قال
الكاتب فإن : عرض عليك صورة قبيحة ؟

قال القارئ : إذا أعلم أنه لم يرد إلى تصويرى ، وإنما
أراد إلى تصوير غيرى من الناس .

إهداء

قال أحد الأدباء لبعض أصدقائه : ما أشد حبك للهجاء ،
وما أكثر قراءتك لما ينشأ فيه من شعر ونثر .

قال الصديق : لأنني أجد في ذلك شفاء لبعض ما في
نفسى من ازدراء الناس .

هجاء

قال أحد الأدباء لبعض أصدقائه : ما أشد عكوفك على
قراءة الهجاء .

قال الصديق : فإنك تعلم حرصى على أن أتبع
مثالب الناس فالهجاء يعيننى من ذلك على ما أريد .

هجاء

قال أحد الأدباء لبعض أصدقائه : إنك لتكثر قراءة
الهجاء .

قال الصديق : أتتبع بذلك عيوب نفسي حين التمسها
في نفوس الناس .

هجاء

قال أحد الأدباء لبعض أصدقائه : ما أكثر ما تثنى على
هذا الكتاب الذي لا يشتمل إلا هجاء .

قال الصديق : فإنك تعلم أنه يلائم طبعي .

تقد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أيّ قرآنك أحب

إليك !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هذا الذي يقرأ مخلصاً ،
وينقد ناصحاً ، ويعلم الرأي صريحاً ، لا يصانع فيه ، ولا
يلتوى به .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ومن لك بالقاري
الذي تجمع له هذه الخصال .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هبه إحدى المنى التي
يقول فيها الشاعر القديم :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلاً فقد عشنا بها زمناً رغداً

هجاء

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : ما أكثر ما قال
فلان للناس الخير فيما مضى ، وما أكثر ما يقول لهم من
الشر الآن .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : سقاكم من أدبه صفواً
وعفواً حتى انتهى بهم إلى قعر الدن فهو يستقيهم حسالة
نفسه ، وأجدر بهم أن يعافوا ما يقدم إليهم من شراب .

هجاء

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : قد كان أدب فلان
عذباً سائغاً ، فأصبح مرّاً لا يطاق .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : ما زال يحلب لهم
ضرع الأدب حتى استنفد لبنه ، فهو لا يحلب الآن
إلا دماً .

رياضة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أى الرياضة أحب إليك ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : المشى .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إنما أردت رياضة النفس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : دفعها إلى ما تكره
وصدّها عما تحب ، ذلك أحرى أن يعيننى على احتمال
مخالطة الأهل ، ومعاشرة الأصدقاء ، ومعاملة الناس .

سيرة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما خير سيرة يسيرها

الرجل الحازم فى أبنائه ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : يكلاً هم بعنايته ، ويشملهم
برعايته ، ويحوظهم بعطفه وحنانه ، ولا ينتظر منهم بعد
ذلك إلا عُقوباً . ذلك أجدر أن يسروه أحياناً ، ولا
يسوءوه أبداً

إهداء

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : أيُّ المودة أجدر أن تبقى
على حوادث الدهر ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : هذه التي لم تخلقها الأثرية
ولا الإيثار ، ولم تنشئها الحوادث التي تحدث ، والنوائب
التي تنوب ، ولم تتصل بالمنافع القريبة أو البعيدة . وإنما
قامت على توافق العقول ، وتعاطف القلوب ، واستحييت
أن يتحدث عنها أصحابها حين يلتقون .

تلوٲ

قال الطالب الفٲى لأستاذة الشٲخ : ألا ترى إلى فلان
يبيض قوله مصباحاً ، وٲسوده مُسياً .

قال الأستاذ الشٲخ لتلميذه الفٲى : وما تنكر من ذلك !
إنه يستعير بياض الصبح لأحد قوله ، وسواد الليل
لقوله الآخر .

قال الطالب الفٲى لأستاذة الشٲخ : فأى لونه نصدق !
قال الأستاذ الشٲخ لتلميذه الفٲى : صدقهما جميعاً إن شئت
وكذبهما جميعاً إن أحببت ، فهو صادق كاذب معاً .
قال الطالب الفٲى لأستاذة الشٲخ : لقد عدت إلى الألفاظ
في حديثك ، وقد كنت تركته دهرأ .

قال الأستاذ الشٲخ لتلميذه الفٲى : هو صادق في قوله
لأنه يلتمس منفعة بهما وهو كاذب في قوله لأنه لم يُرد
بهما رضى الله ولا نُصح الناس .

تجارة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا ترى إلى فلان .
يستبيح لنفسه الكذب مُصْبِحًا ومُصَيًّا كما يستبيح الماء
الذي يشربه ، والهواء الذي يتنَسَّمه !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنه يشتري بكذبه لذة
السلطان .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وأيّ سلطان هذا الذي
يشتري بالكذب !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : سلطانٌ بِخُسٍّ يُشْتَرَى
بشمنٍ بِخُسٍّ .

كذب

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أحب الكذب إلى
فلان .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لو أدَّبه الشعب حين
كذب كذِبته الأولى لما عاد إلى الكذب مرَّةً أخرى .

فرصة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : أُلِّم تر إلى اضطراب
أُمُور الناس منذ أبحرَ فلان .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : غاب النسر فاستنسر
البغاث أو كما تقول العامة : غاب السَّبع فَلَعِبَت الضُّباع .

مُصَانَعَة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان همَّ
أن يكون رجلاً ثم استكان .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ذكر قول زهير :
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
يُضْرَسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسَمَى

فَطْرَة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان لم يكد
يزأر زئير الأسد حتى ماءء مواء القِطَّ .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لأنه لم يُؤَلَدْ أَسَدًا ،
وإنما وُلِدَ قِطًّا .

مهارة

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : لم يكّد فلان يغيب
حتى اضطرّ ب كل شيء .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أمر دُبّر بليل .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : أَوْضِحْ فَإِنِّى لَمْ أَفْهَمْ
عَنكَ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أراد أن تظهر الحاجة
إليه فيصعب الاستغناء عنه .

طموح

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان يؤلب على
الحكومة وهو لها صديق .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ملّ مكان الصديق
وطمع في مكان الزميل .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وتراه يبلغ ما يريد !
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ولم لا أن يسرق فقد
سرق أخ له من قبل .

طمع

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما بال فلان لا يريح
ولا يستريح .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ملأ خزائنه من المال
ويريد أن يملأ يديه من السلطان .

عداء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان يصبح
إخوانه بالعداء كل ما أشرقت الشمس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لم ينصفوه لأنهم لم
يخطئوه بأنفسهم واذكر إن شئت قول الشاعر القديم :
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

رقص

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : لم يكد فلان يدبر
حتى أقبل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لم ينس الرقص
الذي تعلمه في باريس .

تقلب

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : ما أكثر ما يتقلب
فلان بين الرضى والغضب .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : ألحّ عليه قول
البحترى :

اغتندى راضيا وقد بتّ غضبا
ن وأمسى مولا وأصبح عبدا

سرعة

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : لم يكد فلان يغضب
حتى رضى .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : ذكر قول بشار :
صدت بخدّ وجلت عن خدى ثم اثنت كالنفس المرتدّ

تجنى

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما يتجنى
فلان على أصدقائه فيؤذيهم ويؤذى نفسه .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : أسرفوا فى الثناء عليه
فظن أنهم صادقون ، واذكر إن شئت قول شوقى :
خدعوها بقولهم حسناء والغواى بغيرهن الثناء

أفول

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى ذلك النجم
لم يكديشرق حتى أفل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : كان يستمد النور من
غيره فلما التوى عنه مصدر النور عاد إلى أظلامه القديم .

جزاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : رأيت كأنني أودع
الأرض بذراً طيباً فلا يكاد يستقر فيها حتى ينبت
منظراً بغيضاً

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : تحسن إلى قوم ثم
لا تلق منهم إلا شراً.

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وإذن !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : وإذن فاعمل الخير
واذكر أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

كفر

قال الطالب الفتي لأستاذة الشيخ : أي الناس أجدر أن
يكفر النعمة ويحجد المعروف .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : ذلك الذي يجعل رأسه
وعاء للعلم دون أن يجد نور المعرفة إلى قلبه سبيلا .

قال الطالب الفتي لأستاذة الشيخ : لم أفهم عنك !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أن مثل العلم الذي تعبته
العقول ولا تستضيء به القلوب مثل الأسفار التي يحملها
الحمار . وقرأ إن شئت قول الله عز وجل : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

تذكار

أَلَمْتُ فُحَيْتَ ، ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَعْتُ
فَلَمَّا هَمَمْتُ أَنْ تَنْصَرِفَ أَلْقَيْتُ فِي يَدِي شَيْئًا صَغِيرًا ،
وَتَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ : اجْعَلْ هَذَا وَقَاءً لَكَ مِنْ شَرِّ مَنْ
تَحْسِنُ إِلَيْهِ .

وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ مَصْحَفٌ دَقِيقٌ .
لَكَ الْعَهْدُ يَا ابْنَتِي أَلَّا يَفَارِقَنِي مَصْحَفُكَ هَذَا الدَّقِيقُ
حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَلَكَ الْعَهْدُ أَلَّا أَتَّخِذَهُ وَقَاءً مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا وَقَاءً
مِنْ شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا أَجْمَلُهُ لِأَنْ جَمَلُهُ مُحِبِّبٌ إِلَيَّ .

بَطْر

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا ترى إلى قوم يمكرون
برئيسهم ، ويطلقون فيه ألسنتهم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : سئموا النعمة واشتاقوا
إلى النقمة .

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وترى رئيسهم يذيقهم
من الشر ما يُريدون .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هيهات ، واذكر قوماً
جعلهم الله عبرة لأولى الأبصار لأنهم خربوا بيوتهم
بأيديهم .

فتنة

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : ألا ترى إلى فلان يبر
بذوى رحمه على حساب الدولة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : نجم يريد الأفول
وما أراه يأفل حتى تأفل معه نجوم أخرى .

قال الطالب الفقى لأستاذة الشيخ : فإن النجوم الأخرى
ماضية فى سبيلها لم تنحرف عن الجادة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : فاقراً إن شئت قول الله
عز وجل : « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
خَاصَّةً » .

وعد

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : ما زال فلان يعدني
ويعنيني حتى ظننت أنه سيعطيني القمر . فلما حان وقت
الوفاء لم أجد عنده إلا سرايا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : لا تلمه وقد أعطاك
ما يملك وهو لا يملك إلا الوعد ، ولكن لم نفسك على
تصديقه . وقرأ إن شئت قول الله عز وجل : « يَعدُّهم
ويعينهم وما يَعدُّهم الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا » .

عبء

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : لم يجلب فلان لزملائه
منذ شاركهم إلا شرًّا .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : هو كما قال الله
عز وجل : « كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ » .

وقاء

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما حرص زملاء فلان
عليه وهو يكلفهم من الشطط ما لا يطيقون .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنما يتقون به عين
الحسود .

تعالى

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى فلان ثانی
عطفه شامخاً بأنفه لا يكلم الناس إلا وحيًا، ولا ينظر إليهم
إلا شذراً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : أنف في السماء وأست
في الماء .

إصلاح

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما يذكر
قومنا الإصلاح ، وما أقل ما يصلحون !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنما يقولون بأفواههم
ما ليس في قلوبهم ، ولو قد آمنت قلوبهم بالإصلاح حقاً
لعملوا أكثر مما يقولون .

نور

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما ينتقص
الناس فلاناً دون أن يبلغوا منه شيئاً .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : « يُريدون أن يُطفئوا
نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره ولو
كره الكافرون » .

ثبـات

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما تألب
الناس على فلان فهما جوده جهرة، وكادوا له سرًا، وأغروا
به أسنتهم وأقلامهم، وهو ثابت في مكانه لا يزول

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنما مثلهم ومثله قول
الشاعر القديم :

كناطِحُ صخرة يوماً ليوهنها
فَلَمْ يَضُرْها وَأَوْهَى قَرَنه الوَعْل

لوم

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ما رأيتك تذكر قومنا
إلا لائمًا لهم ناعيًا عليهم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي :

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ
نَطَقْتُ وَلَكِنْ الرِّمَاحُ أَجْرَتِي

سخط

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : متى ترضى عن قومك !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : حين أراهم يسخطون
على أنفسهم .

عقل

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى قومنا قد قلبوا

لقادتهم وزعمائهم ظهر المجن .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لأنهم أخذوا يعقلون .

تبصر

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى قومنا

لا ينقادون لسااستهم في يسر كمهدهم منذ حين .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : جعلوا يصبحون رجالا .

إخلاص

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : متى يخلص الساسة في
خدمة الشعب .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : حين ينسون أنفسهم .

حسد

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألا ترى إلى فلان
ما ينفك يثير الصعاب ، ويبث العقاب بين يدي زملائه
العاملين .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : لم يسره الله للخير ، فهو
يأبى أن يجرى الله الخير على يدي غيره .

زهو

قال الطالب الفتي لأستاذة الشيخ : لم يصنع فلان شيئاً
منذ ارتقى إلى منصبه، وهو أكثر الناس حديثاً عن نفسه
مصبحاً وممسياً

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : إنما هو كما قال أبو العلاء
في بعض معاصريه :
رحاً تطحن قرونا

رقص !

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى الذين يكتبون
مذكراتهم السياسية ويضيفون فيها إلى الموتى من
الأقوال والأعمال ما يمنعمهم الموت من أن ينكروه أو
يجادلوا فيه ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : هؤلاء القوم يستحبون
الرقص على جثث الموتى ، فدعهم يخوضوا ويلعبوا حتى
يأتى يومهم الذى يوعدون .

صدقة

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : وإني أقرأ في كتاب
الله هذه الآية البارة الرائعة بما فيها من هذا التمثيل القريب
البعيد : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ
حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ
يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » فهلا أظهرتني على
ما وراء هذا الجمال الفنى الرفيع من أمر الدين ؟ !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإن الرواة يتحدثون بأنها
أنزلت بشأن رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين ندب النبي أصحابه للجهاد بأموالهم وأنفسهم
في غزوة (تبوك) فأما أحد هذين الرجلين فهو عبد الرحمن
ابن عوف رحمه الله . قسم ماله نصفين أمسك النصف
على نفسه وأهله وأقبل بالنصف الآخر على النبي صلى الله

عليه وسلم فأقرضه الله قرضاً حسناً . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت .
وأما الآخر فعثمان بن عفان رضي الله عنه جهز للحرب من لا جهاز له من فقراء المسلمين فأ نزل الله هذه الآية :
« يَبْنِي الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنْ نِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَبَرَاءَةٍ مِنَ الْمُنِّ وَالْأَذَى بِأَنَّهُ يُضَاعَفُ لَهُمْ نَفَقَاتُهُمْ فِيمَا يَمْنَحُهُمْ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً كَهَذِهِ الْحَبَّةِ الَّتِي تَلْقَى فِي الْأَرْضِ فَتَنْبِتُ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا الْحَبِّ قَدْ تَلْقَى فِي الْأَرْضِ فَتَنْبِتُ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعَفُ الْخَيْرَ لِمَنْ يَشَاءُ تَسْعَ قُدْرَتُهُ وَرَحْمَتُهُ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَرْزُقُ النَّاسَ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَثَوَابِ الْآخِرَةِ إِنْ أَرَادَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

قال الطالب الفتي لأستأذه الشيخ : لو صدق الموسرون

وعد الله وخافوا وعيده لآثروا إقراض الله على إقراض
الناس :

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : فإنهم يرون بعيونهم
ويأخذون بأيديهم ويحززون في خزائنهم ما تغل عليهم
قروضهم في المصارف وفي أسواق المال ومنعهم ضعف
النفوس وخور القلوب وهذا الشك الذي يفسد العقول
أن يروا ما أعد الله للمحسنين من ثواب . واقراً إن
شئت قول الله عز وجل : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا
لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَذْهُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا . كَلَّا نَعْدُهُمْ هَؤُلَاءِ
وَهُؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » .

صَدَقَ

قال الطالب الفتي لأستاذه الشيخ : إني أقرأ في كتاب الله
هذه الآية الكريمة التي تروع بما فيها من الإيجاز
والصفاء : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو . . . »
فهلأ فسرتهألى وفقهتهألى فى معناها ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي : فإن الناس كانوا يسألون
النبي صلى الله عليه وسلم عما ينبغى أن ينفقوا من أموالهم
براً بالبائسين ومعونة للمحتاجين . فأنبأهم الله بأن فيما زاد
على حاجاتهم وحاجات من يعولون من الأهل والولد سعة
لهذا البر ومادة لهذه المعونة وإنما أراد إلى تأديبهم بما
ينبغى أن يراعوا به حق أنفسهم وحق ذوى قرباهم وحق
نظرائهم من الناس . وأراد قبل كل شئ أن يحملهم على
الرفق بأنفسهم وبمن يعولون وكانوا قد تأثروا بالدعوة

الإسلامية واندفعوا إلى البر وأقبلوا عليه حتى هم كثير
منهم أن يشقوا على أنفسهم ويقتروا على أبنائهم
وأزواجهم فدعاهم الله ورسوله إلى أن يرعوا حقوقهم أولا
وحقوق غيرهم من الناس بعد ذلك . وقد أقبل رجل على
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال له : عندي دينار .
قال : انفقه على نفسك . قال الرجل : عندي غيره . قال :
انفقه على أهلك . قال الرجل : عندي غيره . قال : انفقه
على ولدك . قال الرجل : عندي غيره . قال النبي صلى الله
عليه وسلم : فأنت أبصر . لم يأمره أن يتصدق به ، ولم
ينبهه عن هذه الصدقة وإنما ترك له أن ينفقه عن بصيرة
في أمر دينه ودنياه . وأقبل رجل آخر ذات يوم على النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه بيضة من ذهب أصابها في بعض
المعادن . قال : خذها مني صدقة فقد أصبحت لا أملك
غيرها فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وجاءه الرجل
من ركنه الأيمن فأعاد عليه القول فأعرض عنه النبي مرة

ثانية وأعاد الرجل القول فأعرض عنه النبي مرة ثالثة .
وأعاد الرجل القول للمرة الرابعة فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم في لهجة المغضب : هاتها . فلما دفعها الرجل
إليه حذفه بها حذفة لو أصابته لشجته ثم قال : « يأتى
أحدكم بماله كله يتصدق به ثم يجلس يتكفف الناس » .

قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : فقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذن يكفف من غلو أصحابه في الصدقة
ويخفف من إمعانهم في البر وإجهادهم لأنفسهم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : كان يرفق بهم لأنهم لم
يكونوا يرفقون بأنفسهم

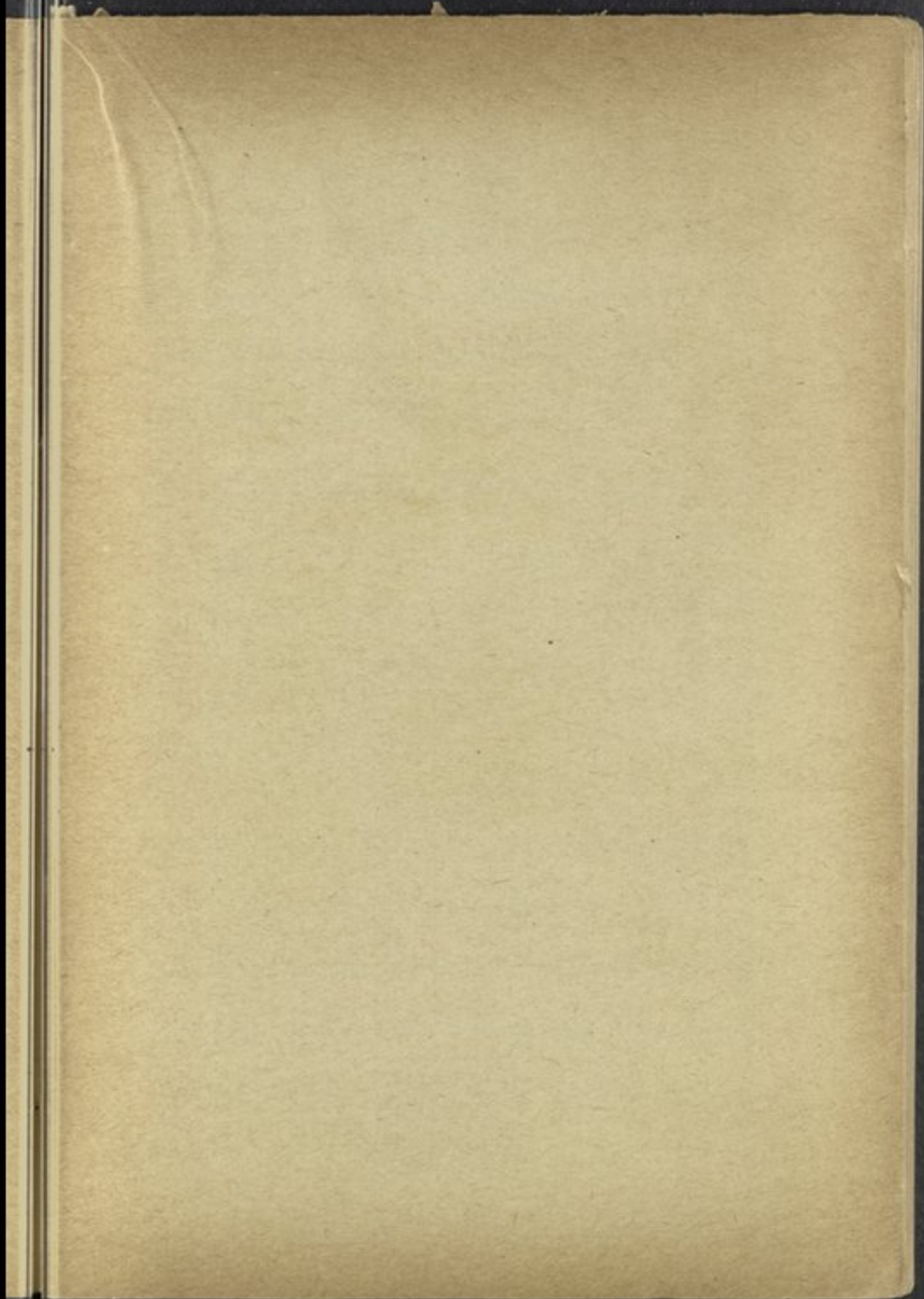
قال الطالب الفقى لأستاذه الشيخ : فأين نحن من أولئك
الناس ؟ ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقى : نحن في المنزلة التى
لا يرفق الرجل فيها بنفسه ولا بأهله ولا بولده ولا بغيرهم
من الناس لأنه يؤثر المال على الرفق والبر والإحسان

جميعاً وصدق الله العظيم حين قال : « زُيِّنَ للناسِ حُبُّ
الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ » .

قال الطالب الفقي لأستاذه الشيخ : لو صدق الناس وعد
الله وخافوا وعيده لما آثروا متاع الدنيا على متاع الآخرة
ولما كنزوا الذهب والفضة في خزائهم أكداً والناس
من حولهم يصومون ثم لا يجدون ما يخرجون به من
الصوم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفقي : هو ذاك واقراً إن شئت
قول الله عز وجل : « الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى
عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ » .



فهرس

صفحة		صفحة	
٦١	معارضة	٥	تقدمة
٦٣	معارضة	٢٩	دعاء
٦٤	معارضة	٣٠	فيض
٦٥	وصف	٣٢	حرية
٦٦	عقوق	٣٣	حرية
٦٨	فن	٣٤	أدب
٦٩	خصام	٣٥	حرية
٧١	موعظة	٣٦	حرية
٧٣	تجن	٣٧	وصول
٧٥	نعمة مضیعة	٣٩	ضائر
٧٦	غرور	٤١	جحد
٧٨	غرور	٤٣	حارار رهان
٧٩	غرور	٤٤	حلة
٨٠	وجوم	٤٥	وقار
٨٢	تضليل	٤٦	ذاكرة
٨٣	قطط	٤٨	إخاء
٨٤	قصور	٥٠	إخاء
٨٥	تكریم	٥٢	إخاء
٨٦	غیبة	٥٤	إخوان
٨٨	ظلم	٥٦	ذوق
٨٩	رجوع	٥٩	معارضة

صفحة		صفحة	
١١٩	رسالة	٩٠	رعية
١٢٠	جمود	٩١	رعية
١٢١	استخارة	٩٢	رعية
١٢٣	معبد	٩٣	رعية
١٢٤	تبذير	٩٤	رمز
١٢٥	هجاء	٩٥	غيرة
١٢٦	رقابة	٩٦	مجنون
١٢٧	خادم	٩٧	تلطف
١٢٨	وعود	٩٨	هجرة
١٢٩	نزاهة	١٠٠	هجرة
١٣٠	تخليط	١٠٢	تصوير
١٣١	منفعة	١٠٣	رق
١٣٢	أخلاق	١٠٤	رق
١٣٤	كساد	١٠٥	رق
١٣٥	عفة	١٠٦	رق
١٣٦	ثعالب	١٠٧	رق
١٣٨	فرار	١٠٨	تعريض
١٣٩	كيد	١٠٩	ضحك
١٤٠	كيد	١١٠	ضحك
١٤١	صفح	١١١	انتصار
١٤٢	سخرية	١١٣	ذوق
١٤٣	تقدير	١١٤	رفق
١٤٤	ابتسام	١١٥	إيثار
١٤٥	تملق	١١٦	نفع
١٤٦	كذب	١١٧	كفاية
١٤٧	مروءة	١١٨	رق

صفحة		صفحة	
١٨١	توحيد	١٤٨	نفاق
١٨٢	جبن	١٥٠	نفاق
١٨٣	ملق	١٥٢	نفاق
١٨٤	نحو	١٥٣	حياء
١٨٥	مثل	١٥٥	إشاعات
١٨٧	مثل	١٥٦	هبة
١٨٨	مبدأ	١٥٧	حقوق
١٨٩	زهد	١٥٩	صدق
١٩٠	سلطان	١٦١	صلة
١٩١	وعظ	١٦٢	ضمة
١٩٢	وعظ	١٦٤	نكسة
١٩٣	زهد	١٦٥	تحكم
١٩٤	زهد	١٦٦	ابتناس
١٩٥	رافة	١٦٨	ضحك
١٩٦	عطف	١٦٩	جلاء
١٩٧	زهد	١٧٠	توبة
١٩٨	جاه	١٧١	توبة
١٩٩	سؤال	١٧٢	فن
٢٠٠	قرض	١٧٣	كساء
٢٠٢	موسيقى	١٧٤	فصاحة
٢٠٣	سعادة	١٧٥	فصاحة
٢٠٤	عجز	١٧٦	أعجوبة
٢٠٥	زيارة	١٧٧	تملق
٢٠٦	تاريخ	١٧٨	تملق
٢٠٧	نفوس	١٧٩	نقمة
٢٠٩	صمت	١٨٠	عزة

صفحة		صفحة	
٢٣٤	هجاء	٢١١	ثقة
٢٣٥	رياضة	٢١٢	منى
٢٣٥	سيرة	٢١٤	نصح
٢٣٦	إهداء	٢١٦	ذلة
٢٣٧	تلون	٢١٧	خسار
٢٣٨	سرتجارة	٢١٨	نفور
٢٣٩	كذب	٢١٩	هجر
٢٣٩	فرصة	٢٢٠	صد
٢٤٠	مصانعة	٢٢١	روغان
٢٤٠	قطرة	٢٢٢	أهبة
٢٤١	مهارة	٢٢٣	فرازة
٢٤٢	طموح	٢٢٤	تعفف
٢٤٢	طمع	٢٢٥	تخرج
٢٤٣	عداء	٢٢٦	بعد فوات الوقت
٢٤٣	رقص	٢٢٧	قصد
٢٤٤	نقلب	٢٢٨	كرامة
٢٤٤	سرعة	٢٢٨	عزاء
٢٤٥	تجنى	٢٢٩	مكر
٢٤٥	أقول	٢٣٠	إهداء
٢٤٦	جزاء	٢٣١	إهداء
٢٤٧	كفر	٢٣١	إهداء
٢٤٨	تذكار	٢٣١	هجاء
٢٤٩	بطر	٢٣٢	هجاء
٢٥٠	فتنة	٢٣٢	هجاء
٢٥١	وعد	٢٣٣	نقد
٢٥٢	عبء	٢٣٤	هجاء

صفحة		صفحة	
٢٥٥	تبصر	٢٥٢	وقاء
٢٥٦	إخلاص	٢٥٢	تعالى
٢٥٦	حسد	٢٥٣	إصلاح
٢٥٧	زهو	٢٥٣	نور
٢٥٨	رقص	٢٥٤	ثبات
٢٥٩	صدقة	٢٥٤	لوم
٢٦٢	صدقة	٢٥٥	سخط
		٢٥٥	عقل

AMBL. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00507856

